

ماريا القبطية



عنوان الكتاب: ماريا القبطية

الكات: أحمد إبراهيم أحمد

الطبعة الأولى: 1440 هـ - 2020 م

© جميع حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني محفوظة

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

ب ض: 03 - 11 - 520 - 00408 - 5 - 022

س ت: 9882

44، شارع سوتير، أزاريطة، أمام كلية حقوق الإسكندرية،

الدور الثالث، الإسكندرية، مصر

موبايل: 01030036491

هاتف: 002 - 034830903

بريد إلكتروني: [levantegsy@gmail.com](mailto:levantegsy@gmail.com)

موقع إلكتروني: [www.levantcenter.net](http://www.levantcenter.net)

رقم الإيداع: 2019 / 25922 م

الترقيم الدولي: 1 - 82 - 6651 - 977 - 978

التدقيق والتنسيق والإخراج: القسم الفني في مركز ليفانت، بإشراف المؤلف

# ماريا القبطية

رواية

أحمد إبراهيم أحمد



# فهرس

7	استهلال
9	اللقاء نصيب
11	مفتتح
26	وجه خامس... الأمومة
29	وجه سادس... الرفاق
35	وجه سابع... تلك التي تعاني
38	وجه ثامن... المجذلية
45	وجه تاسع... العذراء
51	مجذلية وبتول
53	بدايات
77	الزوجة الذليلة
79	عائلة مسمومة
85	حلم لا ينفك يطاردني
89	الأم مدرسة... إذا أعددتها
99	أخوة يوسف
103	وما الحبّ إلا للحبيب الأوليّ
127	القدر يقرع الأبواب
159	الخلاص من الأب الفرويدي
166	عن الكاتب



## استهلال

مالي إذا سألت القلب عنك، تتم في هدوء مستخفاً:

"تسأل عن هواها وهي فيك؟

هل جننت؟

أم أن جنأ مسك، فلم تعد تدري عن نفسك شيئاً؟".

\*\*\*\*\*

إليها...

من عاشت عذابها لا تبالي

وحملت صليها فداءً لمن أحبت... فلذاتها.



اللقاء نصيب...



## مفتتح

ربته جدته وعرف منها أن له عم في الرضاعة من بيت (القبط) وكان إذا حكى لها حلمه، وجاء في الحلم قبطي أو قبطية، طمأنته أن "النصراني في الحلم نصره".  
كان دائم الذهاب عند عمه لمشاهدة التلفزيون ولأنه يحب أن يرى (ماريا) بنت جيران العم التي تصفها صديقتها ابنة عمه بأنها "شقية وعفريتة ودمها عسل". طفلة لاهية لا تعرف سوى الضحك، وتمثل مصدر سعادة وفرح لكل من يحيط بها أو يتواجد معها.  
مرت السنوات، تزوج وأنجب، وصار أستاذاً جامعياً... اضطربت حياته ثم استقرت حد الملل.

\*\*\*\*\*

صف سيارته كعادته في الموضع المخصص له في حرم الجامعة، وأطفأ المحرك ونزل من سيارته، يسير متهادياً بطوله المميز، وثيابه الأنيقة الذي يميزها الجاكت التويد فريد الطراز، وتزين فوديه شعيرات مسها الشيب، أضافت وقاراً لملامح وجهه الجاد؛ حين استوقفته طالبة مبتسمة وهو يتجه لمكتبه... واجهته بجرأة لم يعتدها بين من يعلمهم.

- دكتور أحمد... أنت مش فاكرني؟
- أنا أعرفك؟
- أنا ماريا.
- ماريا مين؟
- أنا اللي كنت ساكنة جار عمك عبده... مش فاكرني؟
- آه..... أهلاً... ماريا.

- شفت... أنا عرفتك وأنت ما عرفتنيش.
- معلش يا ماريا... إزيك وإزاي بابا وماما؟
- بابا مات ربنا يقدر روحه.
- الله يرحمه... خليني أشوفك.
- أكيد... أنت أستاذي... بعد أذنك.
- مع السلامة وسلمي على ماما وأخواتك.
- سلام.

نظر إليها تمضي... عادة تسير كأنها تطير... بدت ملاكاً هبط من السماء ملاً الدنيا سلاماً وطريراً فجأة ثم غادر... لاحظ كشكولاً كبيراً سقط منها... النقطة وتوجه لمكتبه... فتح الأوراق يدفعه الفضول... انسابت الكلمات أمام عينيه فشحب وجهه وتلاحقت أنفاسه... هل هذه كلمات تلك البنت (المفعوصة) التي عرف في شبابه؟

\*\*\*\*\*

## وجه أول... الموت

يكاد ينفجر قلبي من عبء السكوت الذي أنوء به... أريد أن أتكلم... أن أبوح...  
لكني عاجزة عن الجهر بما يتقل روحي.

ينتظر مني الكون كله أن أكون مثلاً للكمال وينسون أنني بشر... أنا امرأة قبطية  
حياتها مليئة بالوجع والحب والخطية... ينكرون علي إنسانيتي ويطالبونني أن أكون  
على قياس رؤاهم.

سيداتي سادتي لست ملاكاً حتى وإن بدوت لكم كذلك، ولست شيطاناً كما قد  
يتبدى لبعضكم... أنا إنسانة... مجرد إنسانة لا أكثر ولا أقل.

ها أنا ذا أعود لمقاعد الدراسة... امرأة ناضجة جميلة المظهر... قبيحة الروح  
بعدما تركتها حساناً شابة... أعود حاملة صليبي... أما لطفل وطفلة... زوجة تعيش  
مهانة المرأة المصرية كل صباح... تتسحب روحي وتزوي، فأتوقع لأهرب من  
مشاعري، فيُصلب قلبي وأنا أبحث عن دموع تهرب وتتجمد في عيوني.

اشتتهي الحياة وأحسها دماً يسري في... لكن يترصدني الموت... أراه رأي العين  
يُطل عليّ قادماً يحتضنني... وأنا لا أريده.

أعشق البحر والجلوس على شاطئه يدثرنني شجني، أرنو للشمس الغاربة،  
يسحرنني غرقها في اللا متناه وأحلم بالشروق بديلاً.

انتظر آت لا يأت حتى يدفع بي انتظاري للجنون، وتصرخ دقات قلبي الموجوع  
بالفقد وفزع الموت، ويسلمني حزن لحزن، وموت لموت، فأعيش نهباً لرياح الوحدة.

أسألك أيها الموت... لم لا تمل من الصمت؟

لماذا أنا أيها الموت؟

لم أنت قاس في ذبح مشاعري وسرقة أحبتي؟

لماذا تأخذهم؟

باقية صورتك مجسدة في ذاكرة طفولتي، تأخذ الأحبة في تابوت على عربة  
يقودها خيول أربعة مكسو ظهرها بأغطية سود؛ مزينة بصلابان وزخارف مذهبة!  
يصاحبها عويل النساء وحين نسأل أين ذهب؟ تكون الإجابة:  
"ذهب عند المسيح... هذا أفضل."

جئت شراً أيها الموت تغتال شعوري بالأمن، وتستبدله بالخوف... تقتلع  
أحبتني... تذيب المر في أوردتي ففقدت هيبتك أيها الموت يوم سرقت أحبتني فحولتني  
شبحاً مثلك... وصرت فقداً بفضلك... روحاً ضائعةً وألماً على قدمين.  
فقدت قدرك عندي أيها الفقد، وصرت مثلك مواتاً، فتلاقينا على قدر لقاء  
وافتراق... أستحضرك جنياً يسكن روحي كلما فقدت الأمان... لم أعد أخافك أيها  
الموت... لم تصبح فقط صديقاً لي... صرت أنا.

## وجهٌ ثانٍ... البحرية

أثم جبين الصباح كل شروق حتى يتصبب النور في قلب الروح مزلزلاً بدني،  
فتتورد لحظاتي لأسير بلا طريق عرفه أحد قبلي، أتتبع آثار نفسي... مُشتعل داخلي  
كي ألقاك دون خجل من الاعتراف بعشقتك.

أحلم أن أتوه في صدرك العريض طفلة تدفن رأسها... تفرح... تركض باحثة  
عن الراحة، لتحضن روحاً جعلتك مأوي ومهداً لأوجاعها لعلها تجد بين ثناياك  
سلاماً... يا ملجئي الأخير.

كلانا... أنت وأنا... موثق بالآخر... أنا مقيدة بمخاوفي لا أريد الابتعاد عنها...  
وأنت يقيديك الزمان، ويعجز المكان أن يحبسك.

تهرب المسافات مني وأنا أجمع ملامحي مُحملة بالهزيمة... محتفظة بخوفي  
وظلمة داخلي، فأنتوقع منزوية في نفسي هاربة مني، ليتصحر قلبي وينسحب داخلي  
لداخلي... فتصبح أعماقي رمالاً، وتتججر دموعي، ويتحشرج الصوت حتى لا يعود  
لجرحي إيلام.

تخيفني لحظات الفرح كأنها الحزن، فأخذ نفساً عميقاً وأتأملك... تتلاحق أنفاسي  
مع أمواجك تائهة، يُداعب المجهول فيك المجهول فيّ، فأتأملك وارقب النوارس  
تشبهني... تلهو بين الماء والسماء، وأشعر بروحك كروحي تنوءان بعذاب لا يحتمل،  
فأرسم بأقدامي دوائر على رمال شاطئك تكبر وهي ترنو للأبدية وتزداد كبراً كدوامات  
تخرج مني حتى أغفو على الرمال.

ابتسم حين أفيق، وأحس أنني أريد الذوبان فيك وأنت تحملني بين ذراعيك وتلهو  
معي وبني، وحين أخرج لشاطئك وأنت لا تريد أن تغلتي تمسح عيني سطحك الفضة

وملؤها شجن يكفي الكون، يمسح بحزنه وجع الأزمنة والأماكن، وأسمعك تهمس في أذني:

"يندم من يهجر مخاوفه."

فتترك روحي المترعة بالحب هائمة تقاوم جسدي... تصاحبها ملائكة بيض، تتراقص مع أمواجك، فتلتئم جروح الروح وأنت تُسمعي همسك، وأبتك نبض روحي مُعلقةً بين سماءك ومائك يا عشقي.

افتح ذراعي فاحتضن الكون... وحين يحملني حنانك بعيداً عن البشر... احتمي بك لا تقطع أفكارني مخاوفي، فارقص سابحة على صدرك الشبيهه بعذباتي فأسألك:

- من قادني لتلك الحال؟

فتقول لي مرتعشاً من نسيمات الشمال:

- أنا... لكني الآن طفل مثلك... خائف أن أعود وحيداً.

فأطوي الخوف والحزن داخل محارة، أرسلها لأعماقك لتستقر ساكنة، فتدوي ضحكك الماء كصافرة مركب مُبحرٍ في بحر بلا غيم ولا أنواء، فأذكر طفولتي على شفاهاك الشاطئية وأصيح:

- أيها البحر... هل يعجبك قدي؟ هل تذكر حين التفوا حولي ضاباعاً... خلعوا

ستري... فطرحت ثوباً من نور ستترني عن كل العيون... وإذ التقيت بك

احتضنتني يلونك القمر، تبت غرامك خمراً يتدفق في شرياني، ليستقبلك ثدي

اليقظان فتلقمه لأتراقص على صفحة وجهك في لحظة عرسي بك، وأعزف

بالعشق أنغاماً للحب وصرخة غضب... لا تغيب أيها البحر فروحي تهيم

للقاك... يا حبيباً عيناه بعمق الكون والحياة... أتوق لعناقك حتى يسري ماءك في

عروقي ويشكل ملامحي... ابحث فيك عن روحي وعمر تنطوي سنواته في هياج

مستعر، أبحث عنك لتأخذ روحي في أعماقك مُعيداً لي الطفولة، مُخرجاً من

أعماقي نشوة أصبها في جسدك عرائس ملائكية... أتركني اتمتم هامسة حبيبي...

لا تذهب... تعالى أدفن رأسي بصدرك اشتم رائحتك، وأهرب من المجهول إليك...  
أواري دموعي وتزرع ابتسامتك في قلبي، وتحنو كفك على ظهري، وتلمس أناملك  
شعري، فيهرب المجهول، وتغفو العين، ويأتي سلام الروح... أطوي الخوف لاهثة  
بفرح لقاك، تحتويني ذراعاك... تحملني كطفلة... تهدهدني... اغتسل بمائك يُعيد  
لجسدي رعشاته، ويسري نبضك بداخلي فأرقص واضحك وأبكي... لكن تأبى  
الأيام، وتدفع برأسي تحت مياهك... فأغرق، وأوقن أن قلبي أضحى يتيماً...  
امتطي موجاتك لأذهب بعيداً عن شاطئك إلى مكان يصنع الأحلام، وتوَلدُ فيه  
الأساطير وحكايات الجنيات فأوقن أن قلبي أضحى يتيماً مرة أخرى حتى بعدما  
امتطيت موجاتك، وذهبت بعيداً في رحلة تدوم العمر... أيها الماء القادم من  
البهاء... لستُ أدري كيف جنّت؟ وكيف تمضي؟ لكني أسألك... لا تعاتبني...  
ولا تشهر سيفك الموج... كُن لروحي برداً وسلاماً وحماماً لا حُماماً، يستل قلبي  
من ضلوعي... لا تلمني إن أسهرت عينيك ليل فلقد أيقظتني أعواماً... احمني  
أيها البحر فسوف أحملك في قلبي ما استطاع هذا القلب أن يهزم الغرباء  
والزحام... آه يا وجهي الذي لم يجد الكف الذي يحنو، فوجده الذي يصفع.



## وجه ثالث... الأب

ليس برجل من لا يشبهك... أنت وأنت وحدك الرجل... لا أستطيع سوى أن أحبك رغم كل شيء... لا أنسى أنك أخذتني لشوارع تشبهني ولا تشبهني... رأيت معك طرقات ليست سعيدة ولا تعيسة، وزرنا أماكن كانت أسرارنا الصغيرة... ما زلت أذكر كيف سرنا معاً حيث تهطل قطرات مطر شحيح فوق أرض لا هي مبتلة بمطر ولا بدموع روحينا.

مضيت فجأة للبعيد دون أن تخبرني بسفرك، كنت وجوداً يعيش فيّ وأعيش فيه، فصرت نجماً مسافراً... نقطة نور تلاشت في الظلام... تركتني تأخذني أحلامي إليك جسداً يتمنى ضم رفاتك وروحاً تائهاً لا يملك إلا وجعاً وكلمات... وماذا تفعل الكلمات؟ غيبتني عن نفسي يوم غبت يا سيدي وصديقي.

أسقطك المرض بضربته القاضي يوم خدعوك، ونجحوا أن يشككوا في ضميرك، واتهموك بخيانة الأمانة، فبعث كل ما تملك كي تُبرئ ذمتك، وسقطت يؤلمك عجزك عن البوح أنك بريء حتى أكل السكر قدمك وأنت صامت لا تتن، ولا يعرف وجهك البسمة إلا حين أطل عليك.

جعلتني ربة أسرة فجأة وبلا سابق إنذار وأنا استعد للامتحان بعدما سقطت مريضاً بلا حراك، تتحمل أوجاعك بلا تأفف ولا اعتراض، ولا تقدم لك أمي من الرعاية إلا الأقل، فصرتُ مسئولة عن رعايتك والاهتمام بك وخدمة أخوتي الذكور الذين لم يعتد واحد منهم أن يسقي نفسه شربة ماء.

استيقظ داخلي وجع أنثى تخدمُ أباً مريضاً، تُهمله زوجه، وترتب فوضى ولا مبالاة أخوة أفسدتهم الذكورة، لا يعوضني سوى تقديرك لدوري... عزاءً أعانني على

تحمل أن أكون خادمة بلا أجر، لينتهي يومي شبه مغيبة، أذهب لغرفتي أستريح قليلاً  
ثم أذاكر دروسي لأغفو مجهدة استعداداً لأعباء يوم جديد.

\*\*\*\*\*

أذكر جيداً تلك اللحظة الداكنة يوم نظرت مبتسماً، مُشيراً لي أن اقتربي، وحين  
اقتربت منك أمسكت يدي، وجذبت رأسي مُقبلاً جبيني لتهمس: "ربي يسترك يا بنتي  
دنيا وآخرة." ثم أغمضت عينيك قابضاً على كفي، فظننتك أخذك الوسن، وشعرت بيد  
أمي تحل يدي من يدك باكية مبتعدة بي وأنا أصرخ:

"فيه إيه؟ فيه إيه؟"

وحين صرخ أخي في وجهي:

"بابا مات."

لم أشعر إلا والطبيب يغرز إبرة المهدئ في ذراعي المشدود، لأغرق في بئر  
أحزاني العميق.

ماتت أشياء كثيرة بعدما غبت يا أبي... فقد الكون ألوانه، وخبث أنوار الحياة،  
وانطفأت روحي، وتوحش أخوتي، وشممت في الكون أن فقدت صديقي وحببي وسندي،  
وأصبحت أمي عدوة بلا سبب.

غبت فصرتُ افتقدك واقفة في عراء الحياة بلا حائط استند إليه أو يسندني إذ  
تجتمع كل هموم العالم والكآبة لتسودني.

افتقدك عارية الروح بعدما أسقط موتك والأيام أقنعة المرح... افتقدك طفلة...  
اغتسل من أدران يومي بين يديك.

افتقدك طيفاً... لا يكف يزور أحلامي.

افتقدك واحتاج إليك... استدعي روحك فتبلي.

صارت الدنيا بعد موتك سراباً وألماً، تسرق من الروح الفرح كما يختلس السراب  
ملاح الماء.

أين أنت يا سلام الروح والنفس؟  
لم غبت؟  
أين ذهبت؟  
لماذا ركضت إلى موتك حين دنا؟  
يا أبي وأخي وحببي وعمري...  
أخبرني لم مت؟

\*\*\*\*\*



## وجه رابع... الأم

أمي...

عشنا سوياً وتركتني حائرة في العراء ملء عيوني دهشة وخوف وموت... وضعت الحزن في تجويف صدري، فسكن بين لحمي وعظامي، وهجرتني تائهة في الحياة تتمتمين بدعواتك الصالحات، ولم تقولي لي أن الحب عادة، والحرية عادة، والنسيان عادة، وأن الخوف ابن زنا لواقع تصنعه عبودية البشر للعادات.

\*\*\*\*\*

أمي... هل تسمعي؟

لم أحسستي بالكره؟

أحبتك فأوحيت لي أنك تكرهيني وحين سألتك عن ذلك كان ردك أن لا أم تكره نتاج بطنها... كنت الابنة المطيعة والخادمة الطيعة وأنا ابنتك الوحيدة، فهل غرت من علاقتي بأبي... زوجك؟

كم تمنيت لو كنت صديقتي... أبئك حزني وأحدثك عن أوجاعي، وأسعدك بأفراحي، وأتبادل معك أحاديث النسوة، وأخبرك بأسراري الصغيرة، وأستشيرك فيما يصعب على روحي وعقلي الصغيرين أن يستوعبا.

لم كنت دائماً شديدة القسوة عليّ لا تحتلمين مني ضحكة ولا يهزك فرحي؟ لماذا... دوماً... عيونك الغاضبة حاضرة، تُذكرني أنني سجينه إرادتك، وحبيسة أوامرك التي لم اتردد يوماً في إطاعتها رغبة في رضاك أحياناً وخوفاً منك في غالب الأحيان.

أردتك صديقة فواجهتني السجانة، وبحثت فيك عن الحب فوجدت الغضب، واحتجت أحضانك فلفظتني ضلوعك كما يلفظ بطن طفل بغاء.

لم أفهم يوماً كيف عاشرت أبي وكيف أحبك! هو بروحه المرححة المحبة للحياة،  
وعيوناه الضاحكة وأنت بصرامتك ووجهك العابس كأنك خائفة أن تتشقق ملامحك لو  
ابتسمت.

أكسبتي مخاوفاً صارت أشباحاً تسكن روحي كخيالٍ يلاحقني دوماً كظلي؟  
أهو ظلي؟

هل قصدت أن افزع من ظلي؟

زرعتِ يا أمي -أنت والمجتمع- خيالاً مريضاً في روحي، حاولت مقاومته لكنه  
سكن روحي بعدما سكن قلبي فصرْتُ لست أنا.

غرستِ أنت يا أمي في روحي هذا التحدي الذي أسقطني... أكرر لك أني أحبك  
وأعلم جيداً أنك تحبيني؛ لكنك أخطأت الطريق لقلبي وعقلي، فتهت... توهتني بين  
دروب أغلبها طرق ندامة.

تحملت مسئولياتك إرضاء لك وحباً في أبي وأخوتي ولم ترض!

تعذبتُ وضاعت براءتي رغم أني لم أرتكب إثماً... جعلتني أعيش معك علاقة  
قاسية متوحشة؛ كادت تموت فيها روحي، كان خوفي منك سيداً فخفت منك ولم أخف  
أبي... تحاصريني وتصادرين على قلبي فلم أمنحه لأحد... علمتني أن أخاف الحب!  
استلبت حريتي حين فقدت حُريتك، وصار الرعب في قلبي امتداداً للخوف في  
قلبك؛ لذا سأخوض حربي ضد الفزع لك ولي... سأحررك ونفسي... فأنت غير قادرة  
على خداعي، فمازلتُ قادرة على رؤية ابتسامتك الواهنة الموافقة على كلام أقوله أو  
فعل أفعل دون أن تُبدين رضاك عني.

أعدك أني سأحارب معركتنا وسأنتصر لك ولي... أوقن من ذلك وأعرفه من وجهك المستريح بعد أزمنة التعب والخوف... ترى هل أجراً أن أواجهك بكلماتي تلك؟ الورق أكثر استيعاباً والقلم أقدر على البوح... علمتني أمي الصمت والجبن، ونزعت عن روعي ثوب الشجاعة وتركتها نهياً للخوف والفرع عارية. احتجت عمراً من عمري كي أتخلص من سطوة الرعب الذي زرعه نظراتك الصارمة في روعي كلما اقتربت منك أو حتى حاولت.

هل تذكرين كيف كشف ابن أختك كهف نفسي المظلم يوم اغتصبني طفلة؟ هل تذكرين كيف حبستني أنت... أمي... في هذا الكهف حين اتهمتني بأني أنا المخطئة!

عشت سنيماً أتساءل عن هذا الذي يفرق بين الذكر والأنثى؛ لا يغادر عقلي صورة قضيب ابن أختك ينتفض قاذفاً بسائله فوقي وأنا حبيسة الخوف والدهشة مما يفعل ابن أختك بنفسه وبني.

كبرت وكبرت معي أسئلتني عن الرجل والمرأة، وأوجعتني تلك الأثناء التي نبتت مبكراً فوق صدري والتي أشعرتني بالنشوة في نفس الوقت، فكنت بحاجة قاتلة لك بينما أنت بعيدة تبحثين عن عالم آخر يُشبع توقك للحب ونسيتني. خذيني أمي إذا ما صرت رماداً... ضمخيني بالدموع واصنعي لقلبك ضماداً، وتوسلي للعذراء في خشوع حتى يهون عليك فقدي.

هامش...

صدقوني واسمعوني جيداً وافهموا قلوبي... أنا أحب أمي وأعرف أنها تحبني وأي كلام أقوله عنها لا ينفي هذا الحب بل يؤكد... لا تستغربوا فحديثي لها حديث المحبين

وعتاب الأصفياء... لا تسيئوا بها أو بي الظن وتذكروا أننا بشر ومن كان منكم بلا  
خطيئة فليرجمنا بكل ما تطال يده من أحجار.

\*\*\*\*\*

## وجه خامس... الأمومة

بدأت أكون أماً يوم أنجبت أمي شقيقي الصغير ماهر، وألقت به بين ذراعي ليصبح طفلي وأنا مراهقة لا أعرف شيئاً عن الأمومة... علمني هذا الماهر كيف اعتني بطفل، وأكون أماً مسئولة عن طعامه وشرابه ونظافته وحتى صحته.

تركته لي أمي حتى شاركني فراشي... حين مد يده الصغيرة لثدي وهو نائم، ألقمته الحلمة فالتهمها بشراهة بعثت في جسدي بركاناً من النشوة.

تحقق وجودي يوم أصبحت أماً... يتملكني شعور رائع غريب وأنا أضم طفلي لصدري، يلتقم ثديي ليمتزج ألم شفيف بمتعة لا تدانيها متعة... أصبح ذات الشعور يتكرر كلما مضى يوم أرى طفلي ينمو حولي كزهور عبقة حتى كبرا وأصبحت مستقلين بقدر.

بدء الدراسة فصرت انتظرهما كل يوم بشوق يتجدد مع طرقات الباب المألوفة التي تعودت سماعها عند عودتهما المتلهفة لدفع البيت وطعامه... لم يتغير شعوري يوماً عند فتح الباب، ليتكرر قفز ابنتي ميريت ومعانقتي لتبقى معلقة برقبتي وأنا أتخلص منها برفق، واطلب من شقيقها مارك أن ينزل لشراء الخبز لتناول الغداء.

تذهب ابنتي لتبذل ثيابها، وتوجه للمطبخ لأحمل الطعام إلى الطاولة واجلس على رأس المائدة مُسندة رأسي إلى كفي، استعيد عمري ككل يوم، وأشاهد صور حياتي تتوالى أمام ناظري، وأرى ابنتي تفتح الباب لأخيها الذي يضع الخبز على المائدة، ويجلس بثياب المدرسة، يتناول قطع البطاطس المقلية الساخنة، وأخته تنظر له منتظرة أن تتاح لها فرصة الأكل، وحين يفاجئها صمتي... تصارع أباها لتأخذ نصيبها من الطعام.

هما ثروتني في حياة لا طعم ولا لون لها ولا رائحة مع زوج لم يكن له في حياتني إلا فضل زرع بذرتهما في رحمي.

أعود طفلة معهما... ألعب وأغني وأرقص، وأمارس عليهما سلطتي، فأشعر أن بي حياة، وأتنفس بهما وجودي حين أحكم عليهما الأغطية نائمين كل مساء. صنعا إرادة حياة حباً لهما؛ نقيضاً لرغبتني في الموت للخلاص... حرصاً على رعايتهما حتى ينبت لهما ريش، يطيران به في أفق حياة أرحب مما عشت... قاومت المرض وزوجي!

وتبدأ حياتني مرة أخرى كل صباح حين أوقظ مارك الذي يتمطى متكاسلاً بينما تفتح ميريت عينيها مُبتسمة، ثم يتحركان هو إلى الحمام بينما ترتب هي الفراشين حتى يصبح الحمام مُستعداً لاستقبالها.

اجلس على مائدة الإفطار أنظر لمارك يُدخل ساقه في البنطلون، ويقفز على الأخرى متجهاً نحو طاولة الإفطار ليتناول إفطاره بشراسته التي تضحكني كالعادة. ما أن يبدأ صوت الطفلين يملأ المكان إلا ويقطعه سعال أبوهما يشعل سيجارته كريهة الرائحة، ويمضي نحو الحمام يدخنها وهو يقضي حاجته، ولا يخرج إلا بعد أن يكون الطفلين قد تناولا إفطارهما وغادرا في طريقهما للمدرسة، ليبدأ ويل جديد مع رجل هو العذاب نفسه، ولا ينتهي وجعي حتى يغادر، فأتنفس وأنا أعد نفسي للذهاب لعملي بروح مجهضة وجسد منك ملوث ببقايا رجل.

مارك وميريت عطية الرب... ملاكان يحميني وجودهما من شر زوجي وعدوانه... هما بركة سماوية تمنح حياتني رائحة الحياة، ومنحة القديسين لروحي حتى أتحمّل عذابي وحلم نجاهة على أمل خلاصي من خطايا حاصررتني دون أن يكون لي فيها ذنب... خلاصاً كخلاص يسوع المسيح وفدائه على الصليب.

\*\*\*\*\*

## وجه سادس... الرفاق

ما أن اكتشفت جسدي، وبهرتني استدارة ثديي واتساع حوضي وجاءتني نشوة الأحلام... رافقتني الوحدة، وصرت انعزل بغرفتي المغلقة.

اكتشفت عالم الود وصداقة لم اختبرها من قبل، نمتها في زميلتي عائشة التي اقتربت مني وتصادقنا حتى صرنا كياناً واحداً.

كانت لقاءاتنا في بيتها أو بيتنا متعة لا تعادلها متعة، وكان الذهاب لبيتها مسموحاً فأبيها يعمل موظفاً في الإدارة التي يرأسها أبي، فأصبحت صداقتنا عموداً منح حياتي التوازن، وأمدني بالقوة، وملأني بالحياة، وانتشلتني من هاويات تهت وكدت أسقط فيها.

احتوتني عائشة من برد الوحدة، ودفعنتي للوقوف والاستمرار في الحياة كلما أوقفنتني مشاعر أُمي الكريهة، وكانت دوماً موجودة كلما احتجت لدفء البشر إذا ما فقدت توازني وانتهي بي المطاف بلا سند.

أصبحت عائشة مكوناً أساسياً من حياتي، وكانت مصدر سعادة بلا حدود، فاعتدتها حد الإدمان، وصرنا نتقابل كل يوم إلا ما ندر، ونخرج معاً للنادي أو شاطئ البحر، فنطلق محلقتان في سماوات بهجة عرضها السماوات، لا يحدها حد وأنا مستسلمة لصداقة وود يدغدغ حواسي التي عرفت الضحك والانطلاق على يديها؛ ولأن لكل ما تم نقصان كانت النهاية من توقعها كما خطت البداية.

أخذت تتهرب من لقائي فجأة، وتبتعد عني في المدرسة، وتتحاشى لقائي، ولا تأتي لزيارتي، وإن ذهبت إليها تُتكر أمها وجودها وأرى في عينيها نظرة حزن تشي بكذبها.

كانت السنة الثالثة من الثانوية وأمامي امتحان يجب أن أُعد له رغم كآبتي، فانزويت أفنع نفسي أنني قادرة على تحمل المزيد من الوحدة وأنها ماتت؛ لكن باءت محاولاتي بالفشل، وسيطرت عليّ فكرة واحدة... لا يمكنني أن أعيش دونها... بحثت عنها في ساحة المدرسة ذات يوم بائس وأنا أسأل نفسي:

"أموت أنا كل دقيقة متمنية أن تعود صداقتنا التي أفقّلت بابها لتعيش لاهية... هل يُسعدّها أن أكمل مسيرتي مع أخريات غيرها؟ أن أحس نحوهن بمحبة هي أعمق ما أحس به نحوها؟"

انتظرت طويلاً حتى حضرت... سألتها:

- كنتي فين كل الوقت اللي فات؟

نظرت لي نظرة باردة جمدت قلبي في صدري، وأجابت بهدوء:

- مع محمد.

أحسست ببرودها يخنقني، فسألتها:

- ما سبقش وسبنا بعض... اتغيرتي ليه؟

نظرت لي بثبات وبرود مبتسمة وقالت:

- ما اتغيرتش ولا حاجه... على فكرة... محمد شافنا سوا وغضب مني.

سألت مستغربة:

- يعني إيه؟

أجابت والتوتر باد على ملامحها:

- مش عايزني أعرفك.

- كده! أنت... أنتِ رأيك إيه؟

أجابت والتوتر يكتسح كلماتها:

- بيقول عليكي عضمة زرقا... أربعة ريشة... مش عايزني أعرف قبـط.

- وأنتي ما كنتيش عارفة إن أنا قبـطية؟

- أنت عارفة أنا ما يفرقش معايا... ها نفضل صحاب بس في السر... مش ها نتقابل زي الأول... زي ما قلت لك... محمد عايز يخطبني ومش عايزني أعرفك. فقلت وأنا أخفي حسرة وقد اشتعل كبريائي:

- روجي له... مش ها ينفكك وها تشوفي.

ذهبت وانكسر العالم... صار خاوياً ومعه نفسي التي اختزلتها في وجودنا معاً... اضطربت أفكاري، وأصبحت مليئة بالتساؤلات الحائرة، ولم أدرِ أهو انكسارٌ أم هي نفسي التي تنتحر ببطء؟ ترى هل انتهى كل شيء حقاً؟ هل أخذت صديقتي مني؟ لماذا تركتني؟ لأجل ماذا؟

قهرتني وحدتي ومواجهة الفراق مهما حاولت الهرب... وصوت صارخ بداخلي يقول:

"اختارت عائشة طريقاً غيرك... وجوداً غير وجودك... كوناً غير كونك وأنيساً غيرك... وجدت نصفاً آخرًا."

توقفت أيامي تنتظرها حتى كاد عقلي أن يتوقف من رتابة الانتظار... ذهبت ذات مساء لمنزلها وعقلي يصرخ في:

"هل تفعيلين الصواب؟ ماذا لو رفضت مقابلتك؟ لماذا وضعت ل صداقتكما حدًا؟" وقلبي يقرع داخلي وهو يؤكد لي "لا يمكنها أن تنسأك." طرقت الباب، وبقيت مكاني متكئة على جدار أترقب وأنا اعلم أن كرامتي على المحك وأن ما افعله جنون وحماسة... كان موقفي مبهماً ومحيراً.

كدت أغادر بعد انتظار وإذا بالباب يُفتح ليُطل وجهها ينظر لي، فتجمدت في مكاني ولساني عاجز عن الكلام وصراخ داخلي يتفجر بمشاعري "أجل هي أنا... أنا من انتظرتك ولم تأت... ها أنا تنازلت وأتيت... فافعلي ما تشائين."

ابتسمت واقتربت وعانقتني... لم أصدق وهي ما تزال تعانقني... تساءلت:

"ما معنى هذا؟ أيجب أن افتح ذراعي؟"

أخذتني من يدي لنجلس سوياً على حافة درج طالما جلسنا فوقه، وكان صمتاً  
ابلع من الكلام... الأجل هذا الصمت آتيت؟

لم أرغب أن أظهر لها أنني آتيت لسبب غير وجيه وقبل أن أقول أية كلمة  
سحبتي من ذراعي، ولم أصدق ما يجري... أنا برفقة عائشة معاً... فكرت أن أعاتبها  
لكنني خفت اغتيال لحظة جميلة فقررت تأجيل اللوم... لكنها تركتني وأنهت كل شيء  
فجأة... في غمضة عين... قتلتني ثانية وأنا التي تنازلت وآتيت لها.

- ماريانا... خلاص أنا اتخطبت لمحمد وما بقاش ينفع نتقابل زي الأول... سبق  
وقلت لك محمد مش عايزني أعرف قبط.

انهمرت دموعي دون أن اصدق أن صديقة عمري بهذه القسوة... هل تظنني  
جماداً بلا روح؟

طعنة مرة بسكين تلم... ألم يكن من الأفضل لو بقيت في ذلك الانتظار البليد  
أهون من هذا التنازل المهين؟

دفعْتُ ثمن سذاجتي، وغادرت المكان منكسرة والسماء تُمطر حجارة، فلم أر  
غير ضباباً أسود... تمنيت أن أصرخ لأخرج الغضب الذي يملأ صدري، وأصبحت  
امقت تذكر وجهها، وانزويت في غرفتي استمع لأغان حزينة.

\*\*\*\*\*

يبدو أن الصديقات لم يكن في حياتي سوى ساحرات خرجن من ثنايا حكايات  
وهمية، وجئن لعالمي يردن التهام سعادتي... حتى القريبات لم انج منهن.  
تربينا معاً... كارولين ابنة عمي وأنا... كان أبي يريعي أبيها لأنه رقيق الحال،  
فكان يعطيه راتباً شهرياً دون أن تعلم أمي، وكانت كارولين شبه مقيمة ببيتنا... تأكل  
مما نأكل، وتشرب مما نشرب، وتلبس كما ألبس، وتتركني دائماً اختار لها الثياب على  
ذوقي لأنني كما كانت تقول "ذوقك حلو وشيك."

كنا ندرس في نفس المدرسة في كل المراحل الدراسية، وافتقرت بنا الدراسة في المرحلة الجامعية وإن ظلت شبه مقيمة معي ولم أحس بالفرق.

عشنا كأختين متعايشتين، ولم نكن صديقتين حتى ظن كثير من الناس أننا بالفعل شقيقتين، وكانت حياتنا سوية عادية رغم أنها لم تقترب من روحي، ولم أطلعها يوماً على أسراري الصغيرة ولم تفعل.

لم تكن رقماً مؤثراً في حياتي بل كانت وجوداً عادياً ككل الموجودات التي تحيط بي وحتى بعدما تزوجت كان ترددها على بيتي من الأمور العادية، وذهابنا للكنيسة كل أسبوع من روتين الحياة المعتاد حيث نمارس حياة اجتماعية مباركة في أحضان بيت الرب حتى كان يوم لفتت نظري صديقة لي أن انتبه لزوجي وابنة عمي... لم أصدق في البداية... حتى تكررت من أمي الكلمات التي حذرتني بها صديقتي عن شيء غير طبيعي بين زوجي وابنة عمي!

لم يكن صعباً علي أن أطلب من ابنة عمي ألا أراها، وألا تعرفني، ولكن كانت المواجهة بيني وبين زوجي مرارة أخرى لم أنل من وراءها سوى الصفع واللكم ومزيد من الإهانة وانكسار القلب.



## وجه سابع... تلك التي تعاني

أشعر بك يا أبي لأنني خضت تجربة الموت أكثر من مرة... لا تستغرب... حين تهاجمني نوبة المرض، فأدخل في غيبوبة يتوقف فيها قلبي عن الخفقان... أفرح... لأنني أعرف أنني سألقاك وأتحدث إليك.

ليس الموت كريهاً كما يصوره الآخرون... الكريه هو المرض ومعاناة الألم... أنا أكره المرض وأرفض الاعتراف أنني مريضة... لا عقلي ولا ممارساتي اليومية تريد الاعتراف بإصابتي بمتلازمة الألم الموضعية المركبة والمسماة علمياً Complex regional pain syndrome فهي ما أعاني منه وهي نوعان... الأسهل هو الأول الأكثر شيوعاً وأنا مصابة به وسعيدة لأن النوع الثاني أشد قسوة.

حالتني حالة مرضية نادرة ومعقدة، تظهر بادئ ذي بدء في الأطراف، يُميزها شعور موجه لأشياء غير مؤلمة كاللمس العادي عند كل البشر، ثم يتغير لون وحرارة جلد الطرف المصاب.

بدأت إصابتي في مرحلتها الحادة بألم حارق، وأصبح كفي الأيسر وقدمي اليمنى باردين زرقاوين، وغمرني عرق غزير، وأخذ شعري يتساقط وعرفت أنني مهددة بتشوه أطرافي.

صرت أعاني... مجهداً بين العلاج الطبيعي الذي يشمل تمارين قاسية، وتدليك وتسخين للعضلات؛ إضافة للأدوية المسكنة، والمهدئات العصبية، ومضادات الاكتئاب، وموسعات الأوعية الدموية، ومرخيات العضلات، ولا يخلو الأمر أحياناً من منوم لتخفيف الألم، وتأكدت أنني قد احتاج في المستقبل لجراحة تجريبية من أخصائي أو استشاري لعلاج الألم!

اعتدت المرض الذي اعتادني، وصرنا رفيقين لذلك لا تأخذكم بي شفقة... فقط  
أضاف المرض لأوجاعي من الحياة وجعاً جديداً نشأ مني وعاش معي كابن حملته،  
وولדתه، وأرضعته، وكبر معي.

كنت دوماً معي يا أبي الغالي في مرضي حتى بعد أن غادرت... ساعدني  
مرضك وخدمتي لك على تقبل عنتي واستيعابها... أستحضر بسمتك الهادئة دائماً في  
أحلك أوقات الألم، فتنزل على روحي سكينه وشفاءً، ويصبح الألم تجربة روح وتعزية  
من المخلص يسوع ووعد بالخلاص.

تستبدّ بي الدهشة مع ألم المرض، وتغتال ما نضج مني وتعيد حياتي سيرتها  
الأولى، فأتورد على الوجع، وأحلم بالتخلص من عذابي واثقة أن رحمة الرب لن تتساني  
فتنبض المشاعر التي استكانت للسقم، وينتفض القلب كعصفور بلله المطر، يعزف  
لحناً رقيقةً أنغامه كعزف كمان عاشق حزين في ليل خاوم من البشر والمشاعر...  
تتهادى نغماته كفراشات مضيئة ثم تثور كبركان أفاق.

أشعر بالمرض يطاردني ويحيط بي إحاطة سوار لمعصم، يضحك مني  
ويسخر... يأخذني ويقذف بي بلا رحمة في بئر هلع ورهبة... خوفٌ موروث من  
ذنوب لم اقترفها... أخاف مشاعري تلك التي تثور ثم تهدأ فتسكن لتغمرنني بفيض نور  
وسكينة... روح لا أعرف حقيقية هي أم وهم يريخني؟

كان مرضك يا أبي وقبولك به هادياً لي ومعاوناً مرشداً في دروب مرضي  
القياسي، فتحملته لا أدعي شجاعة حتى أن زوجي وأبنائي وحماتي وجيرانني اعتبروه لا  
شيء رغم ما يرونه من عذابي حين تهاجمني النوبة فأصبح بلا حول ولا قوة... أود  
الصراخ فأعجز عنه.

ليس من راحة سواك يا أبي حين يهاجمني المرض... تأتي في أحلامي التي يطلق أسرها المهدئ، فتمد لي يدك الحانية، ويتسع الوجود حين يحتويني صدرك الواسع العطوف، وتحيطني يد الرحمة حين يضمني ساعداك، ويزوب الألم مختفياً في ابتسامتك الصافية وأنت تسير بي في جنتنا؛ حيث تتسلق بيتنا... القصر... زهور ست الحسن التي زرعتها من أجلي... مغطية كل شيء بلونها الصافي وبهاء لا نظير له... تأخذني عابراً بوابة المنزل لباحته الداخلية بحوائطها المليئة بالنوافذ الكبيرة وزجاجها الملون؛ تملأه صور المسيح وأمه العذراء وعشرات القديسين الذين يطلو لك أن تحكي قصصهم ويدك تمسك يدي.

يملأني سكون الروح، ويسكنني صفاء سماء ربيعية حنون، فيضيع الألم في أمل لقاك، ويصبح الوجد نعمة من الرب أن جاء بك إلي، فأتمنى أن أمشي من دنياي للقاك حيث أنت، ولا يردني سوى يقظة، يشعلها الألم يحرق بدني.  
لو كنت أبي حياً لوهبتني عُمرأ، وفعلت المستحيل كي تُفرح قلبي المتكسر... لكني ها أنا ذا يأخذني شيطان النوم لأنام بلا إرادة، وأفقد قدراتي في نوم شرود يتخطف روحي من روحي... منك.

لكن بعثتك رحمة الرب تتخفي في عباءة الليل السوداء... تتخبط في غياهب ظلمة النوم بعد أن فقدت قدمك التي سرقتها السكر والحزن، تبحث عني أنا الذي خطفني النعاس بخدر شل جسدي حتى استدلت خطاك لمكاني، لتضع يدك الحانية على جيبني، وتتمتم بصلاتك ثم تهز رأسك باطمئنان وتقول:

"أنت بخير، ولا يُخشى عليك وحين تستيقظين أعرفي أنني معك دوماً، وتذكري أن أباك كان هنا."

أنا لست خائفة ولا خاطئة... لم أعبُر وادي الظلال، ولم أرتكب يوماً خطية  
استحق عليها هذا العذاب إلا إن كانت الأحلام خطيئة تستحق عقاباً... لكن حتى لو  
كانت الهواجس تستحق تأديباً فليس بقسوة هذا المرض... تعبت يا أبي تعبت.

لم مت؟

لم غادرت؟

لمن تركتني؟

\*\*\*\*\*



أدري أكان ذلك للتخلص من عبء البنت العورة؛ أم للاستفادة من العريس المنتظر! لم يخطر ببالي قط أن يخونوني وأكون سلعة في صفقة من صفقاتهم.

نزل قرار تزويجي صاعقة فوق رأسي، ووجدتني ارتدي ثوباً لم اختره، وأحمل قطع حلويات وأكواب مرطبات وأعرض جارية... بلهاء تتحرك جسداً بلا روح وعيون لا تميز بين الضيوف، يستهلكني إحساس غامر أن...

"ليس هذا عالمي... هذا سوق نخاسه خائن، حوصرتُ فيه ولا مهرب."

دُبر الأمر بليل وجرت الإجراءات بسرعة فائقة، ووجدت نفسي مع من لا أعرفه

رُبط مصيري بمصيره دون إرادتي، وخانني الزوج المنتظر قبلما يصير زوجي!

خرجت معه واختار مكاناً معروفاً نستريح فيه... لاحظت حين جلسنا أنه يطيل

النظر ورائي ثم نهض فجأة، وبقيت انتظر... مرت ساعة... ساعتان ولم يعد... أشرت

لأحد العاملين الكبار سناً فاقترب مني فسألته عن (الرجل) الذي كان معي فرد أنه خرج

مع سيدة كانت تجلس ورائي من حوالي الساعتين... صُعقت!

تمالكت نفسي وسألته عن الشيك وحين أخبرني، غُص حلقي فلم أكن أحمل ما

يكفي من المال... شرحت له الموقف وأخبرته من يكون أبي فعرفه، وأحضر تاكسي

يوصلني لبيتي.

أخذت من البقال أسفل بيتنا أجرة التاكسي، وصعدت وطرقت بابنا بعنف وحين

فتحته أُمي دخلت كعاصفة هوجاء، وارتيمت على سريري وانفجرت بكاءً... جاءت أُمي

تسألني فحكيت لها غاضبة وهي تنظر بعيون زجاجية، وطلبت أن أكف عن عبث

الأطفال مبررة أن لما حدث سبب منطقي بالتأكيد...سنعرفه.

كان تركي بهذا الشكل إهانة أغرقتني في إحساس خزي استفز مشاعري، وطعنني

تقبل أُمي لما حدث بهذا الفتور القاتل، وشعرت أنها باعنتني بئس، ولم أعرف

حتى الآن كيف برر ما فعله لأبي وأُمي لكنه واجهني ببرود يذبح!

لم أتخيل يوماً أن يخونني أبي وأمي! لكنهم خانوني! فخانتني الحياة ودفعتنني أن  
أخلع ريش الحمامة وارتيدي جلد النمرة... أيتها الخيانة لم أعد أخافك.

قررت أن أعيش حياتي كما يعرف البحر قصص كل السفن الغارقة... أن اعرف  
كل شيء ولا اترك فرصة لكشف المستور إلا كشفته... تزوجت وعيوني مفتوحة  
لاكتشف أن معي عاهر داعر متهافت على القحاب، يتوق لهن كما تتوق أرواح  
التائهين للسراب، ويريدني أمة في جيش سراري يتسرى بهن.

نجح زوجي أن يصنع مني عاهرة حين عرف كيف يستغل غريزتي ويخضعني  
لها... كان خبيراً بالنساء وعازف ماهر يعرف كيف يتلاعب بأوتار أنثى فكنت انصاع  
له في الفراش دون إخفاء توهجي بين ذراعيه وتحت وطأة وطأه.

أذلني ضعفي وعرفه، فلم يتورع عن سبي بأقذع الشتائم وإن قمت بالاحتجاج  
توقع بي يده وما طالت أشد الأذى.

قررت أن أصنع قوتي وأن أضع سطوته وتسلبه تحت قدمي... كنت بحاجة  
لدليل قوي يتيح لي أن أكون سيدة وصاحبة قرار فكنيستنا لا تبيح الطلاق إلا لعة  
الزنا، وليس من السهل إثباته، فلم يكن أمامي سوى الصبر... صبرت حتى أوقعه  
القدر بين يدي لقمة سائغة.

كنت أجهز ثيابه للغسيل فلاحظت أوراقاً مطوية بعناية في أحد جيوبه... اعتقدت  
بداية أنها تخص عمله ففتحتها فهالني ما بها... كلها مكتوب بخطه الذي يستحيل أن  
أخطئ التعرف عليه... ركضت عينيا وراء الكلمات تكادان تقفزان من مكانهما...  
كلمات اعرفها جيداً يرددتها لحظات يمتطيني، فيطحن عظامي نائراً ألفاظاً ليست من  
قاموس عرفته... تثيرني رغماً عني، وتوقظ في بدني مشاعر وحشية.

أطبقت الأوراق بعناية وخبأتها حيث لا يمكنه الوصول إليها... بحث حين عاد  
عن ثيابه بلهفة وحين لم يجدها سأله، فرددت ببرود أنها في الغسالة فقال أن بها أوراق  
هامة فابتسمت...

- شفتها.

- هي فين؟

- شايلها.

- ها تيتها.

- بعينك.

- قريتها؟

- طبعاً.

صمت وطأطأ رأسه في خزي أشعري بقوة هائلة فتمرت...

- الأوراق دي صك حرיתי... لو ما مشتت زي الجزمة... من بكره ها يكون الورق في

الكنيسة.

- بس...

- ما بمش يا وسخ يا نجس... من دلوقتي أنا ستك وتاج راسك واللي اقله ها يمشي.

- أنت بتأمريني وبتشتميني؟

- أشتمك واشتم اللي خلفوك، وأنا اللي أمر وأنت اللي تنفذ... فاهم.

حاول أن يرفع يده ليضربني كما اعتاد كلما غضب، فلم أهرب منه كما تعود،

وثبت في مكاني كصخرة، ونظرت في عينيه نظرة جمدت الدم في عروقه، وعلقت

ذراعه في فضاء الغرفة... بصقت في وجهه وغادرت بهدوء... لم اعتقد أنني أملك هذه

القوة... أدهشني ما فعلت وأسكرني الرضا عن نفسي.

تملكني التسيد وعششت شهوتي في جسدي، وكان عبداً أخذت قياده، واستخدمته

آلة لإشباع رغباتي التي ازدادت توهجاً، لأعيش معه لحظات شبق وكراهية في أن...

أشرب المرارة ممزوجة بشهد.

انطلق داخلي شيطان مريد لا يمل من التسيد والتحكم، فكنت أمنحه نفسي  
برغبتني وأعاقبه بالامتناع حين أريد... تمنيت لو تطلقنا وكنت أستطيع لكن كبلتني  
أمومتي وقيود المجتمع والكنيسة... والتعود.

كم هو غريب هذا التعود... نعتاد معذبينا حتى يحتلون أرواحنا ونكاد نسكن  
فيهم... أهي متلازمة ستوكهولم تأخذ شكلاً جديداً؟

تفجرت داخلي طاقة رهيبة أن أعاقب كل من خانني، فأقمت علاقات خارج  
الزواج امتنع أثناءها عن معاشرة زوجي حتى يكاد يجن وأنا اشبع رغباتي واستمتع  
بوصف نفسي بالعاهرة، واستحضره هو وأمي أثناء ممارسة علاقتي ليصرخ داخلي  
فيهم منتشياً:

"تعالوا لتبصروا الداعرة التي صنعتم بخياناتكم... شاهدوني أنا الفاجرة اسفح  
شرفكم... شاركوا أيها المتغطرسون في دفع الثمن."

فيزداد جنوني ويصرخ الشبق مشتعل داخلي يطلب المزيد، لأعود لبيتي مجهدة  
ملطخة أتأشاه، وأرفض أن يمسنني وهو يكاد يجن، يبحث عن سبب هيهات له أن  
يعرفه، وما أن أتعافى من نوبة الشبق المجنون واهداً، أعود لمضاجعته فيشحن آذاني  
بوساخاته التي تعيد إنتاج العاهرة داخلي فأهجره، وأعود لأدخل دائرة الفحش، وأدور  
فيها حتى ينهكني الدوران، فاسقط ثانية في هوة ذل اقهر به ذاتي، ولم أعرف طعم  
الخيانة الحقيقية إلا يوم أحببت طبيبي.

\*\*\*\*\*

كان طبيبي وأدرك أن خلاً بحياتي فاقترب بهدوء وبطء وتسلسل لروحي فوجدتني  
واقعة في عشقه.

لما دعاني للخروج لم أمانع، وحين احتوتنا القاعة الصغيرة في محل شهير  
عريت روحي أمامه بلا وجل، وحكيت مرارات حياتي ولما احتضن يدي تركتهما له  
كما لو أن له الحق، وحين قبل باطن يدي أعطيته أذن امتلاكي دون طلب.

اعتدنا أن نتقابل في نفس المكان وأنا انتظر أن يدعوني لبيته، وحين فعل كدت أطير من الفرح ولم أخفِ رضاي بدعوته... ذبت بين يديه كشمس ألهمت قطعة زبد حين حاول تقبيلي، وارتميت على سريريه حين افلنتني مهياً له نفسي ... كنت زليخه ولم يكن يوسف.

أطلقت العنان لكل شهواتي معه وشاركته كل رغباتي المكبوتة... حين طلب مني أن أضع عسلاً على قدمي ليلحسه... غمرت جسدي كله، وتركته يلعبه وأنا أكاد أغيب عن الوعي نشوة... أحببته حتى كنت أخلط بينه وبين زوجي حين يضاجعني وتستبد بي النشوة حتى فاض كيله وواجهني...

- مين الدكتور ده يا شرموطه؟

نظرت في عينيه بوقاحة ورددت...

- أنت.

- أنا اسمي ماجد... أنت اتهبلتي؟

- بدلعك... مش عايز؟ بلاش.

سكت وعيونه تبرق بنشوة امتلاكي وشك لا يدري كيف يببرأ منه... لا يعرف من يسود داخله؟ وأنا منتشية بعذابه الخفي وإحساسي أنني امتلكت مفاتيح روحه وأتقنت قراءة داخله... صرت لبؤة شرسة حتى اكتشفت أن شرستي لم تكن إلا على نفسي.

\*\*\*\*\*

## وجه تاسع... العذراء

عشقاً في السيدة العذراء سماني أبي ماريا، ونسى أن مجدلية تختبئ وراء الاسم... فعشْتُ بداخلي عذراء ومجدلية... وكلتاها تنتصر... تحملان وجعهما صليباً تمضيان به... وها أنا ماريا السكندرية كُتبت علي أن أحمل صليبي وأمضي بينهما.

أنا لا أحب الكذب رغم أنني أتقنه... أحب اللعب بالمشاعر وتسعدني ملامح الوجوه المصدومة من حكاياتي المغرقة في الغرابة أو الوقاحة... استمتع بردود الفعل على الآخرين، وتدهشني دهشة طفولية حين استخدم لغة جريئة (وأحياناً ألفاظاً خارجة) لا ينتظرون من امرأة أو فتاة أن تستخدمها.

عذبتني حياتي بفقد الحنان ثم الحب... حرمتني أمي حنانها ثم غادر الحب كله يوم فارق أبي الحياة... أحسست أن الحياة تعبت بي فقررت أن ألهو فيها وبها... واحدة بواحدة.

خانني الحب يوم أحببت زميلي في أولى سنوات الجامعة... طلب مني أن أهرب ونتزوج لأنه لا يستطيع أن يترك دينه، وكنت لا أستطيع أن أقتل أبي فرفضت، وافترقنا.

كان حبي الأول والأخير وبعده أغلق قلبي بابه أمام الطارقين حتى زوجي اضطررت لقبوله ومعاشرته ولم أحبه.

تمنيت لو قدرت على الخيانة... حملتني أمواج أحلامي إلى شيطان أمنياتي... حلمت وأنا نائمة ومستيقظة بإذلال أمي وزوجي وأنا أضاجع عشاقاً وهميين، واستدعيهما ليريا بأعينهما العاهرة تلطخ ما يسمونه شرفهم... فانتشي.

كانت حكاياتي عن فحولة زوجي وقدرته على إشباعي جاهزة حين يتناول أحدهم بالحديث عن فحولته أو تتباهى زميلة أو صديقة بفحولة رجلها لتحبطهم بينما

أكاد أتقياً كلما لمسني، وأشعر بعنتي وعنته في علاقة خالية من الروح حتى أني لا أصدق كيف أنجبت منه طفلاً وطفلة، ولو لم أكن واثقة من أني لم يمسنني بشر لصدقت أنهما ليسا ابنيه.

ضحيت بالجامعة، وارتضيت عملاً لا ارتضيه لنفسني وأقل مما تمنيت حتى يكون لي دور في إعالة أسرتي، وحين زاد العبء وأصبحت رعاية البيت والأولاد للوفاء بالتزامات الأسرة ضرورة؛ عدت للبيت متحملة الإمكانيات القاصرة لزوجي وبذلت جهدي للوفاء باحتياجات بيتي على الطريقة المصرية التي يختصرها المثل "الشاطرة تغزل برجل حمار". وغزلت برجل زوجي.

لست طويلة اللسان ولا ساقطة لكنها النكتة التي تجري في دماءنا... سامحوني. كدت أسقط مع طبيبي الشاب الوسيم الذي استشعر أزمتي وربما اشتم بغريزة الصياد ضعف الطريدة، فحاول إغوائي وكان زليخه فكنت يوسف رغم سكنه رأسي وفراش أحلامي حين يأتي الليل... وقت الحصار... فانتشي حين أحلم به، واستيقظ وقد لانت عضلاتي مسترخية سعيدة حتى أتذكر أنه كان حلاماً، فأحزن مرتين... مرة لأنه حلم ومرة لأنني خنت في أحلامي، فيلفني الصمت ويسكنني خواء.

تداخلت الأيام والناس والأحداث، وتحطم الليل وتساقط كسراً، لتسكن روحي أمواج جثث محملة كراهية معنونة بالحب، فيولي الوجود وأعجز عن البكاء خائفة أن تقودني مشاعري للضلال والهلاك مع عشاق موتي يتكاثرون حولي فأحاول انتزاع قلبي، فأجد أن لا قلب لي، وأن الروح مُغتصبة ولا أرض للحرية، فيحتلني السكوت بعد توالي الهزائم.

أيتها الخطية... ابتعدي واتركيني فقد سئمت الوحش الذي تخلقين لينهشني كل ليلة، ويتركني فارغة إلا من عظام الموتى وقد غاصت في روحي.

أيتها الخطية... لن تهزميني فما نحن التقينا ولم تمتد الأيدي... لم تنسج الرغبة في روحي شيئاً إلا تلك الأشباح الليلية والأقنعة والجدران الباردة وفراش خال من الحب.

أيتها الخطية... لن تحملك بطني كي تولدين كل مساء طفلاً مجهولاً، أو نعشاً  
يضم روجي يسخر مني ويسألني:

"من أنتِ حتى تتحديني؟"

سوف أقتلكِ أيتها الخطية حتى وإن كنتِ قاتلتني... سأقتلكِ في... بداخلي...  
مهما كانت عذاباتي في ليالات حياتي الصحراء... سوف أخلعك جلدًا ميتاً كحية تبذل  
جلدها... لا... لن أسمح لوجهك، ولا شففتيك الكاذبتين، وخنجر الخيانة المختبئ في  
طياتك يلمع زهواً في عينيك أن تنتصرين علي.

لم عدت؟ كي تهزميني؟

أذهبي بعيداً في الغياب فقد تحصنت ضدك حين وطنت قلبي على الحزن،  
وأسكنت الصدر مرارة الصبر، ولملمت وجهي حتى لا تدهسه الأقدام، ويحترق بنارك  
لئضحى كومة رماد... تحررت منك أيتها الخطية بعدما مات حلمي وأنا غافية فوق  
سطح كهف الحزن.

أشم حيرتكم من تصدقون؟

العذراء؟

المجدلية؟

صدقوا من تشاءون...

ما عاد شيء يهم.



## وجه عاشر... حزين حائر

بريئةٌ حدّ السذاجة أنا... لكن ذكيةٌ... هادئةٌ ولا أتمالك أعصابي عند الغضب  
فأصرخ، واسب لکني حَجولةٌ رغم ذلك... ربما جريئةٌ أحياناً... طيبة القلب لكن  
مُتمردة... تلقائية لكن حين أفكر يقوم عقلي بألف حساب!  
غامضةٌ غموضُ الليل... واضحةٌ وُضوحُ الشمس... كل ما أعلمه عن ذاتي  
يقبل نقيضه، وفي بكل التناقض

ما أعلمه عن نفسي أنها نفسٌ طفلةٌ؛ لا تعرف الغرور لكن عزيزة؛ سهلٌ جرح  
كبرياءها، وتُخفي داخلها الكثير، وتفضحها عفويتها غصباً، ولا تُشبهها نفس...  
تضحك مليء فمها .. وتنام باكية.

لست سوى باحثة عن الحب والسلام... جربت كل ما قدرت على تجريبه، وسرت  
في كل الطرق التي ظننتها تؤدي إليهما... بحثاً عنهما ولم أجد سوى الوجد؛ فكلما  
رست سفيني على شاطئ اعتقدته أمناً وسلاماً، أو حباً ودفناً لم يكن إلا سراياً أو حوتاً  
ظننته جزيرة، فأسقط في لجة الخديعة والوهم، ليلوثني واقع تجارب شرسة لم أردّها وأنا  
ابحث عن النقاء.

علمتني الحياة ألا أعطي دون أخذ... ألا أثق براكب أمواج عابر... ألا أصدق  
عهداً... أن أسير دون أنيس... وألا أحزن على ماض لا يستحق، يورقني مارد ذكريات  
يلاحقني هامساً:

"لا تنسي أحزانك... هي باقية تلاحقك."

فلا تمضي ثانية إلا تذكرت وجوهاً جعللني أدرف دموعي دماً بعدما رحلت،  
تاركةً جروحها تنمو حتى قبعت جزيرة أحزان في قلبي.  
فيا أمسي... لا تسكن ذاكرتي، وأغرب عن حاضري، ولا تجعلني أذكرك.

ويا أيها الحاضر... أرسم لي طريقاً، أهرب فيها من ذاكرة تُبجر بي نحو ماض  
خائن لا ينتهي... مجروح... حاضر في ذهني لا يموت.  
ويا غدي المجهول... أمنحني سلاماً أمحُ به ما مضى، وأعبر ما بقى من  
طريقي بلا ذكريات خائنة.

# مجدلية وبتول



## بدايات

تراجع الدكتور أحمد في مقعده وقد دارت به الدنيا بعد أن طوي الكشكول الذي اكتشف أنه أنهى قراءته في بضع دقائق... لم يصدق نفسه وقد أخذته الحيرة - وهو أستاذ الأدب والنقد - من مستوى السرد الراقي لطالبة وسأل نفسه؛ هل ما قرأه عمل أدبي أم مذكرات شخصية؟

انتبه على صوت هاتفه وتلقى التعليمات المنزلية اليومية بما يجب عليه إحضاره عند عودته من العمل... وجد نفسه يتحلل من كل شيء بحجة أن هناك عملاً سيعيق رجوعه للبيت... كان بحاجة لأن ينفرد بنفسه دون أن يعرف لذلك سبباً.

خرج من مكتبه متوجهاً لسيارته وقد انتوى أن يقضي بعض الوقت في كازينو على البحر... فوجئ بماريا واقفة عند السيارة فارتبك عندما نظر لعينيها الجريئتين وشبح ابتسامته تسمح لثنيتهما الأماميتين بالظهور بشكل جعل قشعريرة تمشي من مؤخرة رأسه حتى آخر ظهره كتيار كهربائي مخدر... سألها:

- مستتية هنا ليه يا ماريا؟
- عايزه الكشكول.
- أي كشكول؟
- اللي أنا وقعته علشان تاخده.
- يعني ما وقعتش منك؟
- لا... أنا كنت عايزاك تقرا اللي فيه ومكسوفة أديه لك.
- لسه عفريته ما تغيرتيش.
- مفيش حد ما بيتغيرش يا أحمد... أسفة قصدي يا دكتور.
- حصل خير... رايحة فين أوصلك.

- مش عارفة... مش عايزه أروح... زهقانة.
- وأنا كمان كنت رايح اقعد ع البحر.
- يضايقك لو قعدت معاك؟
- لا... اركبي.

\*\*\*\*\*

هي الإسكندرية على أعتاب الخريف وأواخر الصيف، يجعلها الزحام تبدو على مدى البصر كمخزن مهملات تملؤه الفوضى... يكاد ألقها أن ينقشع... وصلا وقت أصيل يدنو من غروب يوم مشبع برطوبة تُوهم بارتفاع درجة الحرارة... قال لنفسه ورائحة اليود القادمة من البحر تتسلل إلى أنفه "حتى الطقس أصبح مراوغاً!".

أجلسها وجلس في مواجهة البحر، فعدلت من مقعدها، وواجهته وهي تبتسم، وسألته وهي تنظر نظرة مباشرة في عينيه، أحس بها تغور في أعماق روحه فارتبك ونظر للموج يتراكمض.

- أنت إيه اللي مضايقك؟
- مين قال أنني متضايق؟
- أنت... هو فيه حد بيسيب بيته ويقعد ع البحر إلا إذا كان متضايق؟
- ماريا... استرخي واستمتعي بالبحر.
- وأنت... مستمتع؟
- أنت شاغله نفسك بيه قوي كده ليه؟
- وأنت مش مشغول بيه؟
- بنت... أنت بتقولي إيه؟
- ولا حاجه... ما قولتيليش.
- أقول لك إيه؟
- قرئت الكشكول؟

- لا.
- لأ... أنت قريرته.
- يفرق إيه إذا كنت قريرته أو ما قريرتوش؟
- عايزه أعرف رأيك.
- ويهمك رأيي في إيه؟
- أنت أستاذ أدب ونقد وأنا باحاول أكون كاتبة.
- واللي كاتباه ده يبقى إيه؟ مذكرات؟
- أرجوك يا أحمد... والّا أقول لك يا دكتور؟
- مش مهم... عايزه تقولي إيه؟
- أنت قريرت وأكد كونت وجهة نظر كأستاذ وأديب.
- وجهة نظر عن إيه؟
- عن الجنس الأدبي... مستوى اللغة... أسلوب السرد... الحاجات اللي بتعلمها لنا
- احنا الطلبة الغلابه.
- واتبعت كلماتها بنظرة كسهم رشيق اخترق رأسه وبسمة من جانب الفم الأيمن
- كشفت عن أسنانها الرقيقة ناصعة البياض حاول أن يفسرها كبسمة ساخرة لكنه فشل.
- أنت اللي تحددى نوع كتابتك... أنت مصنفها إيه... جزء من رواية؟ قصة
- قصيرة... طويلة... مذكرات... خواطر؟
- بس ده شغلك أنت.
- أنت فايقة وبالك طويل وأنا مش فايق لك يا ماريا... ياللا بينا أوصلك في
- طريقي.
- نهض وأشار للنادل الذي جاء فنقده حسابه واتجه نحو سيارته مسرعاً وهي تغز
- السير لتلاحق خطاه... ركبا وانطلق بالسيارة صامتاً وهي بجانبه لم تحول عيناها عنه.

\*\*\*\*\*

بقى مشغولاً بتفاصيل عمله وبيته بضع أيام دون أن تغادر روحه تلك البسمة المميزة والعيون التي تلمع بذكاء مستفز حتى فاجأته مرة أخرى واقفة عند سيارته تنتظره وقت خروجه وابتسامتها التي أرهقت خياله تصافح عينيه وهي تقول له:

- مرحباً يا دكتور.
- أهلاً ماريا... خير؟
- مش عايز تقعد ع البحر؟ أنا محتاجه أقعد ع البحر شويه مع حد باحبه.
- مع إيه؟
- آسف... ما أقصدش... أقصد مع حد بارتاح له وبأثق فيه.
- اركبي.

ركبت بجانبه وجلست مائلة تنتظر له بهاتين العينين اللتين تخترق نظراتهما رأسه وبسمتها الساحرة لا تفارق شفيتها حتى كاد أن يفقد السيطرة على السيارة... أوقف السيارة وهبط وإذا بها تنتظر أن يفتح لها باب السيارة... اضطر أن يفتحها لها وأن يسير وراءها ويزيح لها المقعد على الطاولة لتجلس، وجلس مواجهاً البحر فعدلت جلستها لتواجهه بنظراتها.

- مش ها ترجع لي الكشكول؟
- صحيح... أنت ليه مش كاتبه الشغل على الكمبيوتر؟
- مكتوب على الكمبيوتر... بس أنا با اكتب الأول بالقلم... لسه سحر الورق جوايا.
- ياااااااا... ده أنت أديبة جامدة على كده.
- بتتريق؟
- لا والله... أنت بتفكريني بصديق ليا... كاتب مشهور الله يرحمه... ما كانش يعرف يكتب إلا على الورق الدشت وبالقلم الكوبيا... تعرفي القلم الكوبيا؟
- طبعاً أعرفه... ما قلتليش رأيك في اللي كتبتة... محتاجه رأيك بجد؟

- ليه محتاجه رأي؟
- عايز أعرف مستوايا... يستاهل أكمل كتابة والا ابطل؟
- لا اكتبني.
- بجد؟ ده رأيك؟
- نعم بس فيه أسئلة يهمني أعرف الإجابة عنها.
- اسأل زي ما أنت عايز.
- فيه جزئين متناقضين في اللي كتبتيه.
- طيب مش تقول الأول أنت بتصنف اللي كتبتيه إيه؟
- أنت اللي تصنفيه.
- ماشي يا عم الدكتور... إيه هما الجزئين دول؟ أكيد المجدلوية والعذراء.
- برافو... بالظبط.
- ما أخذتش بالك أنهم مقصودين؟
- لاحظت أنهم ورا بعض وده خلاني اعتقد أن ده مقصود... لكن يكونوا ورا بعض ليه؟
- نهضت فجأة وانتصبت كرمح فرعوني قائلة:
- أنا لازم أمشي يا أحمد.
- ليه؟
- أنا أم وعندي مسئوليات... بيت وأولاد.
- طيب استني أوصلك.
- لأ مفيش داعي... خليك أنت... إلا قول لي... ممكن أكلمك بالتليفون؟
- أكيد... خدي رقم الموبايل.

\*\*\*\*\*

ترك سيارته في مكانها وأخذته قدماه حيث لا يدري لا يشعر إلا بلفحات هواء البحر الخريفية تفتح جبينه الذي يكاد ينفجر من تتالي الأفكار والهواجس... أحس بالندم لتركه ماريا تمضي... تمنى لو كانت معه يسيران جوار البحر... كان إحساسه بالوحدة ضاغطاً يكاد يخنقه وهو الذي اعتاد الوحدة وعاشها سنياً طويلاً بعد خلافه مع أم أولاده التي حرص على أن يؤمن لها ولأولادهما حياة محترمة رغم استقلاله بحياة بسيطة في شقة في نفس العمارة.

سار طويلاً دون أن يشعر بالحياة حوله لا وجود سوى للبحر كما لو كان صفحة ممتدة باتساع الكون، تكتب أفكاره المتداعية نفسها على سطحه دون أن يبذل جهداً في استحضار هذه الأفكار التي تنزف داخله دون أن يدري بها أحد أو أن يحاول حتى مجرد المحاولة أن يحدث بها أحداً.

تنبه على رنين هاتفه ففتحه ليجد رقماً غريباً فاجأه صوت ماريا على الطرف

الآخر...

- أنا وصلت البيت... روحت؟
- لم يعرف ماذا يقول فأخذ يردد...
- مين معايا؟
- أنا ماريا يا دكتور... لحقت تنساني.
- آه... أهلاً يا ماريا... خير؟
- ياه ده أنت مش مركز خالص... بظمنك أني وصلت البيت وباطمئن عليك.
- آاااه... حمد الله ع السلامة... أنا بخير.
- بتعمل إيه؟
- أبداً... باتمشي ع البحر وخلص ها اروح.
- اقفل يعني؟
- مش قصدي بس...

- أوكي... باي.

أغلقت الهاتف ووقف متحيراً بعد أن أخرجته تلك المكالمة القصيرة من عالم أفكاره المتداعية... بحث عن سيارته فاكتشف أن أقدامه أخذته بعيداً... أشار لسيارة أجرة دارت به وعكست الاتجاه وأوصلته حيث سيارته فركبها وذهب إلى سوبر ماركت شهير اقتضى منه حاجيات أولاده وزوجته، وعاد لبيته وكل العالم وحياته رؤى مضببة لا يتضح له منها شيء واحد واضح المعالم... ماريا.

ترك سيارته لسائس الجراج يصفها، وأعطاه الحاجيات التي اشتراها، وطلب منه توصيلها لزوجه وأولاده، وصعد لشقته ودخل غرفة نومه مباشرة... خلع حذائه وارتمى على السرير بثيابه الكاملة وغرق في سبات عميق تتناوب عليه الهواجس.

\*\*\*\*\*

أيقظه نداء الطبيعة فنظر لساعته فوجدتها الثالثة صباحاً ونظر للمرأة فأدهشه أنه بكامل ثياب الخروج... خلع ثيابه وقضى حاجته وذهب للثلاجة وتناول قطعة خبز بارد مع جبن، ازدردهما بجرعة حليب وعاد لفراشه فجافاه النوم... شعر ببرد مقيت يسكن أكتافه ويغزو قلبه الذي أخذ يخفق بشدة مذكراً إياه بوحده.

ارتدى روباً فوق ثيابه يكافح به إحساس البرد، وتوجه لمكتبه محاولاً الانشغال بالقراءة أو الكتابة، فوجد نفسه يخلق في الفراغ بلا حراك وإذا به يرى وجه ماريا يطل عليه في فضاء الغرفة بابتسامتها الفريدة التي تبرز ثنيتها المميزة.

تداعت عليه ذكرياته وخيباته في إدارة حياته... تلك الحياة التي يحسده عليها الآخرون الذين لا يرون منها إلا ما يسمح به... وهو قليل... تذكر خيانات الأهل والأصدقاء... عناد الزوجة وفشلها في احتواءه وعدم الاهتمام به وباهتماماته... كيف ضحى بكل ما يحب حتى يؤمن لها ولأبنائهما حياة محترمة، تُشبع احتياجاتهم وكيف كان رد الجميل... تمرد وغرس كره مستتر في روح الأبناء لأبيهم!

تذكر صديقه... أبيه الروحي... وتدخله في أحد الخلافات مع زوجه وعنادها  
وتشبهتها بأسباب تافهة للبقاء على الخلاف وكيف قال له صديقه بعد لقاءه غير المثمر  
بها: "ابحث لك عن حل... زوجتك تغار منك ومن نجاحك."  
تذكر كيف صدمته الدهشة فأذهلته... أوليس ما يحققه هو ضمان لحياتها  
ومستقبل أبنائهما؟ تذكر ضياعه وبحثه عن الحب الذي لم يجده... وجد فقط الطمع  
والاستغلال!

أحس بألم يخترق عموده الفقري كختيار كهرباء شيرير فقال لنفسه:  
"ها هو الألم يعلن أن سنوات العمر تتقلت كماء يتسرب بين أصابع... قدرتي أن  
لا يرعاني أحد... زوجتي اختطفت أولادي الذين يحلمون أن يغادروا الوطن إلى بلاد  
تبذر الديمقراطية بالحديد والنار، وتبيع وهماً تشتري به أفضل العقول."  
أحس ضوء النهار يتسلل لغرفة المكتب بين ثنايا الستائر المسدلة على النافذة  
فنظر للساعة وتمطى، ثم قام وتوجه للحمام... وقف أمام مرآة الحمام وحلق ذقنه...  
خلع ثيابه ودخل حوض الاستحمام وفتح المياه ووقف تحتها يرتعد دون أن يعرف...  
هل الرعدة من داخله أم بسبب الماء؟

قضى وقتاً طويلاً تحت الماء دون أن يتحرك ثم أغلق الصنبور وخرج وارتمى  
روب الاستحمام... خلع الروب ومضى إلى غرفة نومه عارياً... ارتدى ثياب الخروج  
ونظر إلى ساعته فاكتشف أن اليوم مازال في بدايته... بدا له السير على شاطئ البحر  
مناسباً لحالته المزاجية خاصة أن الوقت الباقي على موعد محاضراته الأولى طويل.  
خرج من بيته وتوجه لشاطئ البحر العتيق، واتخذ لنفسه مساراً اعتاد عليه سنيناً  
هو ورفيقه البحر... تذكر كيف كان يسير في نفس المكان مع صديقيه يغنيان للحبيب  
المجهول...

"حبيبي يا ليلي خيالي فيك... حبيبي

ياللي حياتي ها تكمل بيك... حبيبي

مين أنت؟ ما أعرفش...

فين أنت ما أعرفش."

قال لنفسه:

"كم أنت مخلص أيها البحر لم تتغير... ما زال قلبك للأسرار موطناً... أنت وحدك من عرف أن المرأة التي تمناها قلبي شبيهة بالنساء اللواتي أحببتهن أنت، وأن الآلهة صنعتها في وداعة حمامة وتيه طاووس وجمال وردة بيضاء اختلطوا في بعض من زبدك.

عَرَفْتُ أنها ذات المرأة التي حلم بها قلبي منذ الطفولة تُعيد خلق أمي، فأركض وراءها وأمسك ذيل ثوبها؛ وهي ذاتها من سكنت صفحات كتبي صورة وجهها أيام الصبا، ورأيت قامتها تتبختر مع سحابات الخريف، وسمعت صوتها نغماً يتصاعد مع زخات مطر شتوي تفرع صفحة أمواجك أيها الصديق.

هي نفسها من جالستها في أحلام رجولتي بإسباط أسرار رُوجي حتى دَهَبَتْ إلى بلاد النسيان البعيدة، وتركت خيالي خاوياً وروحي مُفَقَّرَةً باردةً."

تذكر كيف تَعَوَّد أن يوازن بين النور والعممة طوال عمره مذ كان طفلاً يختبئ وراء زجاج نوافذ البيت، يرقب المطر والريح مترقباً سطوع شمس جديدة على كون صقله الغيث، فيجعل الدنيا أكثر بهجة وجمالاً... عشق الشمس تنساب من الأفق، وتغمر الشوارع والبيوت المستكنة لحزن شتاء الإسكندرية النقي الموحى بهدوء جلي حتى أيام النوات.

أخذ السير للبعيد دون أن يشعر بالوقت، وهبطت الشمس على الجانب البارد من الدنيا حيث انتظر البحر الشمس أياماً فلم تأت.

وجد نفسه يتذكر ماريلا بلا مقدمات، وأحس برغبة قوية لو شاركته المسير في هذا الجو البحري الخريفي الأجمل... قفز إلى ذهنه ما كتبت، وأدهشه ووجد نفسه يتساءل:

"ماذا لو كانت المجدلوية هي الحقيقة؟ لماذا كتبت هذا الجزء؟ أهو تعبير عن رغبات مكبوتة أم مذكرات سرية، أردت أن تخرجها للنور دون إدانة حتى تتحرر من ضغط هذه الأحداث على روحها؟ أمن الممكن أن تكون ماريا البريئة هي تلك المريية؟" عادت لذاكرته المشاهد الأثيرة لديه في الأفلام العديدة التي شاهدها عن حياة السيد المسيح وهو يلقي بكلماته في وجوه أحبار يهود وهم على قيد أنملة من رجم المجدلوية:

"من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر."

استدار بهدوء وسار في طريقه لمبنى الكلية في حرم الجامعة بسووتر.

\*\*\*\*\*

دخل مكتبه وفتح درجاً اعتاد أن يضع فيه أوراقه الهامة ويغلقه بمفتاح... أخرج مجموعة أوراق قديمة مسطرة واضح عليها خط يده... وضعها أمام عينيه وأخذ يقرأ. "جاء الشتاء وظلت الشمس مختفية هناك أياماً طويلاً... سفني أحرقت وصمدت، ورحتُ أتجنب بإصرار السؤال العباء:

هل أعود... وكيف... ولماذا؟

السؤال ترفٌ لا أستحق أن أسأله... سيندثر في قلبي وعقلي وأنساه مع الأيام... سأُنحيه حتى أنساه إذ لم تُجدِ نصائح وتوصيات صديقي وأستاذي بالجامعة، ولم أعر على أحد يساعدي، واكتشفت أني وحيد ضائع، أنتقل من عمل غير مهم إلى بيت هو ثلاجة حفظ نفس لا تختلف عن ثلاثيات حفظ الطعام.

حافظت أوقات الفراغ وحدها على توازن روحي ففيها أقرأ بنهم كل ما يتيسر لي الحصول عليه بلا قصد أو خطة... فقط إرضاءً لنوازع تعلقت بها منذ صباي.

قاتل إحساس الغربة في الوطن والاعتراب بين زوجة وأبناء... أنا مخلوق بلا وطن... سكندري تائه... أكثر يقيناً منه اليهودي التائه فلديه ذاكرة وحلم... أتحرك

وأسعى كحيوان برى يُعزيني انحيازي الفطري للعمل فحسب... عمل يوفر طعاماً يسد  
الرمق وسكن يقي من البرد، ودخلٌ يُعفي من ضياعي وأسرتي.  
صرت أنام وأستيقظ فأواصل ما انقطع حتى تجلد الضجر، وتلاشى ألم الحزن،  
وضاعت المعاناة، وتبدلت مشاعري وصار الاستمرار عوناً وسبباً للبقاء والشقاء."

\*\*\*\*\*

لم يكمل القراءة، وأعاد ترتيب الأوراق في ملف، وردّها لموضعها الحصين،  
وأخرج كشكول ماريا ونظر إليه... قرر أن يحتفظ منه بنسخة ويرد الأوراق إليها...  
وضع الصفحة الأولى على السكانر، وأخذ في مسح الأوراق حتى انتهى... حفظ  
الصور في ملف PDF سماه ماريا، ووضع الكشكول على المكتب.

\*\*\*\*\*

طُرق باب مكتبه... سمح للطارق بالدخول فإذا بها ماريا... تدخل بثقة ناظرة في  
عينيه مباشرة دون كلمة... جلست وهو ينظر إليها مندهشاً، ودون أن تتبس ببنت شفة،  
مدت يدها، وأخذت الكشكول، وخرجت دون أن تتطرق حتى بالتحية.

\*\*\*\*\*

خطر له خاطر نفذه فوراً... امسك الهاتف واتصل بصديقه أستاذ الأمراض  
العصبية والنفسية بكلية الطب فجاءه الصوت ضاحكاً...

- والله زمان يا أبو حميد... غريبة منك يا ندل.
- هو إيه الغريب يا ض?
- أنك تتصل... مش عادتك... أنا عادة اللي بأسأل عنك... ما أنت براوي طول  
عمرك... أكيد فيه سبب لاتصالك.
- أيوه يا مفتاح.
- خير؟
- عايز رأيك المهني.

- في إيه؟
- فيه عمل سردي عندي وعاييز رأيك فيه.
- رأيي أنا؟
- أيوه رأيك أنت.
- بس أنت بتاع الأدب وقلة الأدب هههه.
- بطل يا كمال... أنا با اتكلم جد.
- ماشي... ما تتحمقش كده... وعاييز رأي ازاي؟
- الموضوع فيه علم نفس وأنا متلخبط هي عقدة الكترا أو فصام؟
- ههههه... أنت تتلخبط! ده يبقى موضوع كبير على كده.
- أنا ها ابعت لك سكان تقرأه ونتكلم.
- ماشي... ابعت وأنا ها أقرأه أول ما تبعته.
- أنا ها ابعته دلوقتي.
- ماشي... نتقابل امتى علشان نتكلم؟
- شوف أنت.
- يوم الخميس؟
- معقول... فين؟
- مش ها ينفع نتقابل في تريانون ولا ديليس ولا أتينيوس.
- أمال فين؟
- إيه رأيك في النادي؟
- نادي أساتذة الجامعة؟
- أيوه... الساعة سبعة كويس؟
- ماشي... بس هات البن بتاعك... أصله وحشني... هههه.
- ماشي... سلام يا كيمو.

- سلام يا أبو حميد.

ترك الهاتف... استدار وفتح بريده الإلكتروني وأرسل الملف دون كلمة أخرى، ثم فتح ملف ماريلا إرادياً وأخذ يعيد قراءته بنهم جديد لم يظن يوماً أنه قادر عليه هو الذي مل الكتابة والقراءة.

\*\*\*\*\*

انتهى من القراءة، وأغلق الكمبيوتر، وجمع بعض الأوراق في حقيبته، ومشى شبه مغيب إلى سيارته تحكمه العادة... فوجئ بماريلا تنتظره عندها كما لو كان بينهما موعد، فتح باب سيارته، فتوجهت بهدوء وفتحت الباب الآخر وجلست في المقعد المجاور له... نظر لها مندهشاً وهي تخرج (مصاصة) وتأخذ في لحسها بطفولة مدهشة... أدار محرك السيارة وسألها أين تريد أن يوصلها، ففاجئه صوتها وقد تحول إلى صوت طفلة يقول له:

- عايزة ألعب يا أونكل.

- عايزة إيه؟

- عايزه ألعب... وديني الملاهي.

- أوديكي فين؟

- الملاهي... ما تعرفش الملاهي؟

- عارف الملاهي... بس دي للعيال مش للكبار... هما أولادك هناك؟ وبعدين ماله صوتك؟ متغير كده ليه؟

- أنا صوتي كده... وبعدين أنا ما عنديش ولاد لسه... أنا لسه صغيرة... لما أكبر واتجوز أبقى أجيب ولاد.

أصابته دهشة صاعقة ولم يعرف كيف يتصرف... وجد نفسه يتجه للداون تاون وبمجرد أن صف سيارته في ساحة الانتظار إذا بها تفتح باب السيارة وتركض في طفولة غير مصطنعة نحو ساحة الألعاب، وتشتري بطاقات اللعب وتتوجه في بهجة

خبير حقيقية إلى الألعاب، وتصرخ فرحاً وتزوم غضباً حتى أكملت كافة ألعاب الصالة وهو يتأملها ترتمي على صدره، تعانقه وتقبله في خده شاكرة طالبة منه أن يعود بها للمنزل.

أوصلها لمنزلها فنزلت ركضاً وهي تشير مودعة في فرح حقيقي وهو متجمد في مكانه غير مصدق لما يرى... انتبه لنفسه فقاد سيارته لبيته شبه مغيب، متمنياً لو كان موعد صديقه كمال عواض الآن.

\*\*\*\*\*

جاء اليوم الموعد فكان يصف سيارته قبل الموعد بدقائق في نفس المكان الذي اعتاد... استقبله موظف الاستقبال بحفاوة حين دخل من بوابة النادي... رد التحية بفتور ومضى إلى مكانه المفضل في آخر الردهة الفسيحة وجلس... جاء النادل يحييه، فمد له يده بكيس البن، فأخذه مبتسماً ومضى.

لم يكمل عقرب الثواني دورته إلا ودخل الدكتور كمال عواض عليه هاشاً... صديق العمر والطفولة... قام ليحيه فأخذه بالأحضان في فورة مشاعر مفاجئة، ثم أشار عليه ليجلس... رآه النادل فجاء، فقال له الدكتور أحمد:

- عبده... قهوتي وقهوة الدكتور بسرعة... عندنا شغل مهم.

انحنى النادل في استجابة مهذبة ومضى بينما اعتدل كمال في مقعده ونظر مبتسماً لصديقه قائلاً:

- كان عندك حق تتلخبط يا أبو حميد.

- كويس... ليه بقى؟

- لأن الورق اللي بعته بيقول كلام كثير قوي.

- بيقول إيه؟

- بيقول إن احنا قدام شخصية مركبة بشدة.

- لكن قول لي... أنت تعرف صاحبة الورق ده؟

رد أحمد مرتبكاً...

- أنت ليه بتقول صاحبة الورق مش صاحبه؟
- الورق مكتوب على لسان واحدة.
- فيه أعمال كتير كتبها رجاله على لسان ستات.
- ماشي... بس ما جاوبتش... أنت تعرف صاحبة الورق؟ أنت قابلتها...حصل إيه؟
- مش ها اخبي عليك يا كمال أنا قابلت البنات وحصل موقف عاجز أني افهمه! حكى له بالتفصيل ما حدث مع ماريما في الستة سنتر وصالة ألعاب الملاهي ثم سأله:

- تفكر دي حالة فصام؟
- عارف! سهل نقول فصام... لكن علشان نشخصها شيزوفرانيا لازم حاجات تانية غير الورق... وده رأي مهني.
- قصدك شخصية الورق اللي بعتلك زي بطلة فيلم بئر الحرمان؟
- كويس انك فاكرك... الفيلم ده من أفلام السيكو دراما المصرية المهمة.
- انا فاكرك الفيلم ده كويس متاخذ من قصة لإحسان عبد القدوس وإخراج كمال الشيخ وبطولة سعاد حسني ومحمود المليجي ونور الشريف وبيحكي عن ناهد المريضة بانفصام الشخصية.
- دي غلطة في التفسير بسبب إن اللي فسروا الموضوع ما عندهم مش الخلفية العلمية الصحيحة... بس واضح أنك مهتم بيها اهتمام خاص.
- أنت نفسك لسه قايل أنها شخصية مثيرة للاهتمام.
- بصراحة لك حق تتلخبط... واضح أنك متورط عاطفياً معاها.
- بطل تتذاكي واشرب قهوتك يا مفتاح.
- ماشي يا دكتورووووور... لكن يرجع مرجوعنا للشخصية اللي في الورق بتاعك.

- مالها؟
- الشخصية من النوع ده غالباً عندها اهتمام شديد بالروحانيات.
- تقصد Spiritualism؟
- نعم وممكن كمان Parapsychology.
- تقصد تداعي الأفكار؟
- أكثر... بيكون عندها قدرات تنبؤية... مكن تحلم أو تتخيل أحداث ما حصلتش وتحصل معاها بعدين، أو تشوف أماكن بوضوح في حلم ما شفتهاش قبل كده وبعدين تشوفها في الواقع.
- يعني قصدك أن اللا وعي بيختلط بالمشاعر ويصنع نبوءة؟
- فيه تجارب اتعملت على بعض الحالات أكدت إن فيه شخصيات ثانية تنبعث خلال التنويم المغناطيسي.
- معقولة! إزاي يتوجد عقليين في نفس الوقت؟.
- من آخر القرن التسعتاشر، كان فيه رأي سايد بيقول أن التجارب المؤلمة عاطفياً بتسبب اضطرابات نفسية معقدة وعميقة حتى في أكثر الأفراد مرونة مع عدم استقرار عاطفي.
- عاد النادل حاملاً فناجين قهوة جديدة وعلبة البن التي سبق له أخذها، توقف الحديث وعاد النادل من حيث أتى وبقي الصديقان يرشفان القهوة بتلذذ، وعادا للتحاور، فقال كمال بلهجته الودود المميزة:
- أعتقد مش سهل أحكم طبيياً على الحالة اللي أنت حولتها لورق... يلزمني أكثر من الكام صفحة دول علشان أقدر آخذ قرار بتشخيص.
- تشخيص! ياااه... أنت قوام اعتبرتها مريضة؟
- أنا لا اعتبرت ولا ما اعتبرتش... أنا با أقول لك الورق ده ما يكفيش أني أكون وجهة نظر علمية... فهمت يا بطيخة؟

- فهمت يا فكهاني... أشرب قهوتك.
- سيبنا بقى من موضوع التحليل النفسي وخلينا نتكلم عنك... أنا عارف أنك من يوم ما رجعت مش مرتاح رغم أن أحوالك المادية كويسة وأخذت وضعتك في الجامعة دلوقتي والبلد استقر بعدما انتهت حماقة الإخوان.
- فكر أحمد قليلاً ثم ردد بهدوء:
- أقدر أقول لك يا كمال يا خويا وضميري مستريح إن المسألة أكبر مني ومن أحوالي... الديماجوجية في بلادنا العربية كلها هي... هي... الروبه م الطينة واللته م العجينة... ومش بتتحسر وحتى مش في طريقها للانحسار... ومصر مش استثناءً بالمناسبة... أنا عدت الخمسين سنة وما خفتش أبداً من الحياة في بلدي... أنا مش معارض سياسي وعمري ما كنت... والمسألة المادية مش بتشغلني لأن أنا معنديش طموح للغنى والثروة... مشكلتي أعقد من كده... مشكلتي مرتبطة بنمط الحياة والتفكير... الغربة هنا في مصر... زيها زي هناك في البلاد العربية... وما تستغربش أنني باسميها غربة.
- أمال إيه اللي قالب حالك يا بني آدم؟
- الواقع هو اللي بيخوفني يا كمال يا أخويا... الواقع اللي بيقطع الصلة اللي مفروض تربطني ببلدي... بالأرض والناس... أنا دلوقتي يتيم بالمعنى الحرفي للكلمة... من غير أب أو أم، والأبناء فقدوني أو أنا خسرتهم مش عارف، والأصدقاء مش فاضل منهم غيرك.
- نظر كمال عواض إليه مشفقاً، وشعر بعجزه عن مواساة صديقه... أخذاً يرتشفان القهوة في صمت، ثم استأنز كمال لارتباطه بموعد آخر... تصافحا وتعانقا على وعد بلقاء آخر وغادر كمال وتركه غارقاً في أفكاره.

\*\*\*\*\*

أخرج من حقيبته بضع أوراق وانحنى يكتب...

"قليل أولئك الرجال الذين هاجروا من أوطانهم ولم يعودوا إليها ولو لمرة واحدة... أنا واحد منهم... لم يكن الخليج بديلاً مريحاً لكن بديلاً ذا عائد... ناضلت لتأمين حياة أسرتي رغم التعب والشقاء.

عانيت الجوع، وكافحت، وصارعت، وحققت أشياء، وفشلت في آخر؛ وحين استقر بي الحال تملكني شعور اللا جدوى والسخف.

تنبهت متأخراً أن القضية في الوطن وليست حيث المال والعمل... القضية في الإسكندرية التي فررت منها حتى رأيت الجامعة التي نشأت فيها أني ملائم للعودة، فعدت.

عُدْتُ لاكتشف أني ضائع غريب ببلدي... مدينتي... الإسكندرية... التي تأكدت من بدايتي أنها اختُطفَت، واغْتُصبت، وضمت قسراً لغير بيئتها.

جُرْحان يتتاويان فحسب على الذاكرة... وجع الوطن، ووجه ماريّا تطالعني بنظرتها المنكسرة وشبح ابتسامة ملؤها الحزن، تُظهر ثنيتها المميزة بين شفئتها."

\*\*\*\*\*

عاد أحمد لمنزله مكتئباً لا يعرف لاكتتابه سبباً وإن كان واعياً به... سأل نفسه عن السبب... أهو الجو أم الوحدة، أو ما قاله كمال عن ماريما التي قرأها في الأوراق التي أرسلها له وحدثه عنها؟ أم هي شخصية الطفلة التي واجهته بها ماريما؟  
رن هاتفه وحين نظر للشاشة وجد ماريما...

- مساء الخير يا دكتور.
- مساء النور يا ماريما... ازيك؟
- أنا بخير... لك يومين ما ظهرتش في الكلية يعني؟
- ياه... ده أنت متابعاني على كده.
- ما ظهرتش ليه؟
- أبداً... ما عنديش محاضرات والمفروض أنك عارفة كده.
- بس أنا عايزه أشوفك.
- ليه؟
- من غير ليه... عايزة أشوفك.
- سألها ليتهرب من سؤالها...
- أخبار أولادك إيه؟
- بخير... بس مخنوقين.. عايزين يتفسحوا والمعدول أبوهم مش فاضي لهم.  
خطر له خاطر أنار ذهنه في جزء من الثانية...
- أنا ما عنديش حاجة... ممكن آخذكم كلكم الملاهي وأنا أشتري شوية حاجات من الستى سنتر على ما يخلصوا لعب.
- فكرة هاييلة... نص ساعة وها أكون جاهزة أنا والولاد.
- خلاص وأنا ها أكون في محطة البنزين القريبة من بيتك.
- أنت تعرف بيتي؟
- ما تقلقيش... أعرفه.

\*\*\*\*\*

عدل من هيئته ونزل لسيارته وأدار محركها وعقله يدور كما كينة أصابها جن...  
أراد أن يراها مرة أخرى في الملاهي، ويعرف كيف ستصرف!  
يؤرق ذهنه سؤال منذ لقاءه بصديقه كمال عوض عن متلازمة تعدد  
الشخصيات... هل تعاني ماريا من الشيزوفرنيا أو متعددة الشخصيات بالفعل؟ بدا له  
سؤاله ساذجاً فقد شاهد الطفلة تخرج وعاشها لكنه قال لنفسه:  
"ليطمئن قلبي".

وصل محطة البنزين وما كاد يقف حتى كانت قادمة وفي يديها طفليها تركض  
بهما نحوه فرحة... وصلت للسيارة وفتحت بابها الخلفي وأجلست الطفلين، ثم جلست  
في المقعد المجاور له وانطلق.

وصلوا للستي سنتر وصف سيارته وانطلق الطفلان ركضاً حيث ساحة الألعاب  
وأمهما في إثرهما... سار في أناة وهو يستجمع كل ذرة في كيانه يريد أن يعرف كيف  
ستصرف ماريا في صالة الألعاب!

أدهشه رزانتها وحرصها الشديد على الطفلين وتركيزها الفائق في حمايتهما  
ورعايتهما وتأمين تذاكر الألعاب بسخاء في نفس الوقت... حين اطمأن عليهم انسحب  
من ساحة اللعب وجلس في كافيتريا شهير بالقرب منهم بعدما أخبر ماريا بمكان  
جلوسه... جلس يحتسي القهوة التي يحب ويتأمل فيما حوله حتى اكتشف أنه يرى ولا  
يستوعب شيئاً مما يراه!

كانت أفكاره تلهث وراء ماريا الطفلة اللاهية في صالة الألعاب وكلمات صديقه  
كمال عوض عن متلازمة تعدد الشخصيات تعيد التشكل في عقله... لم يلاحظ كم  
من الوقت مضى وتنبه على يد ماريا تلمس كتفه ضاحكة وتقول:

- اللي واخذ عقلك يا دكتور... رحنت لفين؟

رد مغيباً...

- أهلاً ماريا.
- لسه عايز تقعد؟
- لو عايزين تقعدوا ما عنديش مانع.
- لا.. كفاية كده... لازم أروح أحمي العيال واعشيهم واحضرهم للمدرسة بكره.
- أوكي... مشينا.

\*\*\*\*\*

توجهوا للسيارة يركض الطفلان ويضحكان في سعادة غامرة وماريا تلاحظهما عن بعد حتى وقفا بجوار السيارة بلا إرشاد... فتح لهم أبواب السيارة وركبوا جميعاً وانطلق بهم عائداً.

جلست ماريا تنظر إلى جانب وجهه كما تعودت وعلى وجهها شبح تلك الابتسامة الغامضة التي تسحره... سألته فجأة:

- مش ها نقولي رأيك بقى في الورق اللي قريرته؟
- ها أقولك.
- ومستني إيه؟ قول بقى.
- الورق فيه سرد ممتاز بس صعب يتصنف بسهولة.
- ليه؟
- اللي قريرته أجزاء منفصلة مفيش رابط فني بينهم.
- يعني إيه؟
- يعني ناقصين اللي يخليهم جنس أدبي... رواية... متتالية سردية... أي شكل أدبي محدد.
- وده يتعمل إزاي؟
- بالكتابة.
- ما أنا عارفة أنه بالكتابة مش بالخياطة... بالكتابة إزاي يعني؟

- تكتبي أكثر وبعمق عن أهم شخصيات أو أحداث من اللي كتبتهم كوجوه... وتكتبي بدون سيطرة دينية أو أخلاقية على الشخصيات الفنية أو الأحداث... تخلي الشخصيات والأحداث هي اللي تتكلم وتتحرك وتفعل مش أنتي.
  - يعني أكتب بصراحة؟
  - مسألة الصراحة في الفن هي صدق الكتابة مش صدق الواقع... أحياناً الخيال بيكون أكثر صدق من الواقع ألف مرة.
  - حيرتني يا أحمد.
  - ما تحيريش... أكتبي اللي يجي في دماغك وبعدين نتكلم.
  - وتقترح ابدأ بإيه؟
  - اعتقد أنت بدأتني بالألم والأب.
  - أيوه.
  - اكتبي عنهم تاني... وانطقي واتحرري من الخوف والعيب والحرام... اكتبي اللي بتحسبه أو اللي بتعتقدي فيه أو فاكراه بحرية تامة.
  - أوكيه... اتفقنا.
- كانوا قد وصلوا مع نهاية حوارهما، فسلمت عليه وطبعت قبلة خاطفة على خده الأيمن شعر بنار حارقة مكان شفيتها ونزلت وأخذت طفليها دون نظرة واحدة له.

\*\*\*\*\*

مضت بضع أيام ولم ير أو يسمع شيئاً عنها... ظلت تحاور أفكاره وتترائي له دون وعي منه أو إرادة... كان طيفها يطارده وهو يحاول أن ينشغل أو يتشاغل فإذا بالابتناسمة الساحرة تضيء أمام عينيه بلا مناسبة.

رن هاتفه وهو نائم ففتنه نصف مخدر بعد سهر طال مع تقييم رسالة دكتوراه قيد المناقشة... فتح عينيه بصعوبة ونظر إلى شاشة الهاتف فإذا بها السادسة صباحاً...

أدهشه أن يرى اسمها على شاشة التليفون... ماذا حدث ودفعها أن تتصل به في مثل هذا الوقت؟

استجاب تلقائياً لرنين الهاتف ووافق على تلقي الاتصال فجأه صوتها تتحدث بنبرة غريبة هي خليط من إنسان يتألم ويتمتع بمازوكية بألمه وهي تقول:

- صباح الخير يا أحمد.

- صباح النور يا ماريا... فيه إيه مصحكي بدري كده؟

- أنا صاحية من ساعتين.

- خير؟

- أبداً... أمجد مسافر لشغل... صحيت معاه ومستنيه الأولاد يصحوا علشان يروحوا المدرسة فقلت أكلمك.

- فيه حاجة مهمة يعني؟

- أيوه.

- خير.

- أمجد نام معايا امبارح.

يصمت فتستمر...

- بهدلني...

يصمت فتصمت للحظة ثم تعاود الحديث بنبرة شبقية... حكى له بالتفصيل

الممل كيف انتهكها فُبلأً ودبراً... كيف تألمت وانتشت وبكت وصرخت.

ظل واجماً لا ينطق بكلمة حتى انتهت من حكايتها... بدت كما لو كانت في

صومعة اعتراف وهو كاهنها وحين انتهت بكت وقالت:

- وجعت لك دماغك... كمل نومك.

أغلقت الهاتف وتركته تدور به الدنيا وقد طار النوم من عيونه.

\*\*\*\*\*

مضت أيام ولم تظهر ماريا في الأفق... كانت حاضرة في ذهنه، يود لو اتصل بها لكن اضطراب أفكاره ومشاعره منعه أن يتصل بها... تمنى كل يوم أن يجدها عند سيارته في نهاية يوم عمله لكن خيبة الأمل كانت بديل لقائها حتى طرق باب مكتبه ذات صباح طارق ما أن سمح له بالدخول حتى أشرق عالمه ببسمتها المميزة... وضعت صامته رزمة أوراق على مكتبه دون حتى أن تُلقي تحية الصباح وغادرت في صمت.

عقدت الدهشة لسانه، ونظر للأوراق ثم امتدت يده لتقبلها وأخذ في قراءة ما بها.

\*\*\*\*\*

# الزوجة الذليلة



## صلاة إيزيس

"أنا العزاء في الألم والولادة... الأولى والأخيرة... الميجلة المحترقة... الثيب العذراء... الأم والابنة... من تتجب ولم تلد قط... العاقر التي أنجبت أولاداً يستحيل إحصائهم.

خلقتني رجلي وأنا الزوجة والزوج... أنا أم أبي وأخت زوجي... هو ابني الذي تخليت عنه وأنا ابنته التي خانها... قدموا لي الاحترام على الدوام لأنني أنا الفاجرة النبيلة الطاهرة."

عاد الدكتور أحمد لمنزله فوجد الحارس يمد له يده بحزمة من الأوراق قال له أن سيدة أحضرتها وطلبت منه توصيلها لها.

أخذ الأوراق وركب المصعد متجهاً لشقته، وبدأ في تفحص الأوراق، فتعرف على خط ماريا الصغير الأنيق.

دخل شقته وخلع الجاكت، وجلس لمكتبه يقرأ الأوراق في شغف، يريد أن يعرف ما بها.

\*\*\*\*\*

## عائلة مسمومة

أتردد بين الموت والعيش في واقع ليس إلا قبر مظلم لا صوت فيه إلا صدي، ولا وجود فيه سوى لدموع قادرة على تفتيت الصخور التي تجثم فوق رأسي.  
أتساءل...

أواعية أنا أم مغيبة؟

هل أنا ضحية أو قاتلة؟

أنا خاطئة أم تائهة؟

هل أنضجتني المرارات؛ أم لا تزال؟

هل كنت وقحةً كاذبةً علي نفسي ومن أحبوني حين ارتميت معانقة الوحل في

شبق طويل؟

إن كانت تلك هي الحياة؛ فالموت هو الفائز الوحيد، الذي عرفته منتصراً.

\*\*\*\*\*

حينما يأتي المساء وتحل الطقوس العادية، ويبهت الضوء فيسقط هذا، ويموت  
ذاك، ويُقبض على أولئك، ويسقط الجسر، ويقع القضاة في يد العدالة، وتهاجر  
الطيور، ويحترق المصلون في تفجير كنيسة، وتسمع الجدران سماءً تبكي وتسقط  
كسفاً... لا آسف ولا أبكي؛ لكن يعيش الحزن بقلبي فقد انتهى الخير فينا.

هل من يجيبي؟

لماذا نتهافت في انتظار الألم؟

ألم يعد بنا حنين لنبضات الفرح؟

ويلي... لقد عشقت كل شيء إلا أنا!

\*\*\*\*\*

نسيت في غمرة أنانية الوجد أن أقول أنني أحبك، وأبحث عنك عاشقاً في أبعد

أرض، وأحاول نزع قلبي لأحاوره؛ لكن لا قلب لي وليس للحرية أرض.

\*\*\*\*\*

عشقت الصبار وتلذذته بدمي حين يقودني لكهف خوف وهلاك، يتكاثر فيه

عشاق الموتى وأنا عاجزة عن البكاء، يكاد جرار الوجد يمر على وجهي، يظنه حديقة

زعفران لكن تتبلع الحديقة الفلاح، وتضعه حيثما يثرثر المذيع، لا يحكي إلا عن

مصائب.

ملعون هذا الزمن... زمني... إن كانت تلك هي الحياة فالموت هو المنتصر  
الوحيد.

تقوتت الحزن حتى أصبح جزءاً مني، وعشت الموت حتى أصبح أنا، وسئمت  
الميت الحي الذي خلقت، وعشت مع وحش يتركني فارغة إلا من أقدام موتي تخوض  
في روحي حين يتساقط الليل قطعاً، وتتداخل الأيام والناس.

\*\*\*\*\*

ولدت معاناتي مع ولادتي يوم خلقت في تلك الأسرة... يسبقني أخ أكبر ويليني  
أصغر... الأب والأم حالة واحدة من القبح لكن كان أبي دوماً الأجل، والأخوين  
حالتين مقرزتين لا يقلان رعباً وإن كان الكبير أكثر نذالة... رغم ذلك أحبهما!  
سأروي كل شيء ولن أخفي... سأحكي بلا خجل.

أبي

هل تذكر يا أبي؟

كُنْتُ إلهاً عبدته فحطمته يوم أذللنتني وخنث طفولتي... دمرتني يوم صفعنتني...  
فضضت عذرتي وجعلتني امرأة حين رأيتك بين أحضان أخرى... جسدت لي الخيانة  
التي لم أكن أصدق وجودها، ولم تسامحني حين أخبرت أمي... وهي أيضاً.

\*\*\*\*\*

ما زلت أذكر هذا اليوم كأنه الأمس... لا تغادر ذاكرتي تفاصيله التي حُفرت  
بنار في حياتي... يوم مات أمجد... أبي... وكيف أفقت من غيبوتي شخص  
آخر... كانت أمي صامته صمت القبور، وأخي الكبير واقف في بلاهة لا يعرف ماذا  
يفعل، والصغير لاه لا يدرك ماذا جرى أو يحدث.

قمت من فراشي شبه مغيبة وعقلي يرتب ما يجب علي فعله... اتصلت بعمي بالتليفون ولما لم يكن موجوداً، تركت له خبراً أن أخاه مضى... لم أكن مستوعبة فكرة موت أبي أو الإقرار بها لكنني كنت واعية أن إجراءات واقعية لا بد أن تتم! اتصلت بحارس المقبرة وأخبرته بتجهيز مقبرة الأسرة لدفن الجثمان، واتصلت بمن يجب عليه تجهيز الجثمان والتابوت، وطلبت عربة مذهبة مغطاة بمخمل أحمر قان، وخبولها مطهمة.

أتممت إجراءات الدفن دون أن أذرف دمعة واحدة بينما يقف أخي الأكبر كالأبله، والصغير تائه مندهش، وأمي تراقب في صمت، ويعاملني الجميع كرب أسرة وليست ابنة مكلومة في أكثر رجل أحبته.

عدت للبيت مع أمي وأخوتي بعدما انتهت المراسم فإذا بفورة غضب مفاجئة تثور بها أمي... دخلت مكتب أبي محطمة كل شيء وحين أمسكت صورته المعلقة على الحائط، وألقته على الأرض، وداستها بقدميها، لم أملك نفسي من التصدي لها، ودفعها بعيداً، فاستندت على مقعد بالمكتب، وجلست تسبني، وتسب أبي وأنا الملم بقايا الصورة الأثرية من بين بقايا الزجاج المهشم، وحملتها وغادرت لبيتي شبه مغيبة.

بقيت زمناً عاجزة عن البكاء، اجتر ذكرياتي مع أبي وأعيشها مرة ثانية... لا أشعر بأي شيء حولي... مخدرة بنزيف أحداث تعيد إنتاج نفسها، فيكاد قلبي ينفجر من عبء السكوت الذي أنوء به... أريد أن أتكلم وأبوح.

تقلب لي ذاكرتي المجن، فأتذكر أمي وصرامتها، وتقفز لعيوني صورتها يوم دخلت عليها وأبي غرفة نومهما بلا استئذان فإذا بها ساجدة عارية وأبي عار ملتصق بها من الخلف وصراخها يصم أذني أن أخرج وأغلق الباب، وينهال سيل شتائم من فمها اللاهث لسبب لا أعرفه... لأغلق الباب باكياً... طفلة لا أدري ماذا يفعلان!

لم تتكلم أمي ولم يتكلم أبي عما حدث لكن اقترب مني أبي أكثر وأشعرتني بحنانه وحب، فاستغلّيت حب أبي لي وصرت ألبس من الثياب أكثرها أناقة، أرى نفسي تلك

الغادة الرقيقة تحلق كفراشة في عالم زاه، تحميها سلطة والد لا أب مثله... أتزين بأعلى المجوهرات، وأرتدي أفخر الملابس، وأتعطر بأندر العطور وأغلاها، وأشتري أرقى ما تنتجه بيوت الجمال العالمية، ولا أحمل من هموم الدنيا شيئاً، أعيش حياة الأميرات، يدلني أب أذوب فيه عشقاً... كانت سهراتي معه متعة لا تعادلها متعة خاصة حين يصطحبني لمهلئ ليلي، ويسمح لي بالرقص والشرب شريطة ألا أسكر، أو أخبر أمي. كبرت وكبرت مع الأيام مشاعري تصاحبها هموم من نوع يخصني... أصبح جسدي محور انتباهي واهتمامي... صرت امرأة أشعر بانجذاب قوي نحو أبي، وأشعر أن مشاعري لا يقابلها أي تعاطف منه رغم أنه لم يحرمني من شيء... وبدأت أصاب باكتئاب يصاحبه غثيان ودوار وسعال وفقدان للنطق، وأصبح التوتر العصبي رفيقي، تمنيت رجلاً مثل أبي يسكن قلبي وجسدي... وكانت الأحلام التي تراودني مخيفة، تطلق المسكوت عنه من رغباتي المكبوتة التي لا أجرؤ أن أتحدث عنها... كنت أحلم أن يضاجعني أبي!

كنت أعيش في البيت تحت سطوة أمي وصرامتها وحرمة منطلقة خارج البيت لا حد يحدني... صرت طالبة جامعية... أنا من يحدد مواعيد خروجي ودخولي البيت فلا جدول مدرسي ولا مواعيد ثابتة حتى كانت الصدمة الأولى.

كان لأبي مكتبين في العمارة التي أسسها جدي ونسكن فيها... غرفة مكتب في شقتنا، وشقة أخرى يدير منها عمله كخبير محاسبي وضرائب، وكانت تتردد على مكتبه زوجة أحد أصدقاءه كعميلة ينجز لها حسابات ضرائب شركتها الصغيرة... كنت متعودة على التردد عليه في مكتبه والدخول عليه بلا استئذان.

جاء اليوم المشنوم حين اندفعت كعادتي للمكتب بكل شوقي له ليصدمني مرة أخرى وهو في أحضان عميلته جالسة على ركبتيه مغمضة العينين ورأسها ملقى للخلف وثيابها في حالة فوضى وهو يقبل رقبتها وصوتها فحيح ممتلئ بالنشوة... تراجع في رعب... أهذا أبي؟

كنت أظنه عاجزاً عن أي حب... لكن ها هو على علاقة مع زوجة أحد  
أصدقائه... أأست أنا ابنته التي تحلم به؟ أأست أنا الأحق بمكانها؟ ماذا يحول بيني  
وبينه؟

حتى الآن وبعدما غادر دنياي... ورغم كل شيء وأي شيء... يظل هو الرجل  
الأوحد الذي أأستت بحبه لي... هو الملك على مشاعري... المثال الذي تمنيت،  
وأأتمنى، وسأبقى في انتظار رجلٍ يضاهيه رجولة وجمالاً... لم يمت أبي... هو باق  
في مكان لا أستطيع الوصول إليه... لكنني واثقة أنني سأصل له يوماً وسأعانقه ولن  
أتركه للأبد.

\*\*\*\*\*

## حلم لا ينفك يطاردني...

صرت لا أنام الليلي إلا على أمل الحلم بك وأن أسعد بجنون أمي الزائد ولا أشفق عليها إذ لا تترك أحلامي التي وصلت لعلاقة بك تمنحني ليالٍ مليئة بالبلل والنشوة، وأحس بذنب لذيذ تجاه أمي إذ أسرقك منها فأصير زوجة ثانية وأتحول ضرة لها... أسلمت في أحلامي.

تدنو مني فأتوهج حد الاحتراق، وأسدل جفوني كي لا تقرأ سري، واكتم أنفاسي لأخفق زفرات شوقي، وأعضض شفاهي تتوق لشفاتك وتتطقان أهواك... أهواك.

أشعر بيديك تتحسسان صدري، فأشعر بالنشوة ولا أحرك ساكناً ممتثلة بلذة هذه اللمسات تغزو جسدي، فتمنحه مشاعرَ نارية تحوله لهباً مستعراً، وتثور شهوتي من وجودك وإحساسي أننا سنقضى ليلتنا معاً، فأعيش مشاعر متناقضة بين الخطية والمتعة، ويميل غصني بالهوى وينحني، يسيل مني الرحيق إذ تغمرني أنفاسك شمس فجر وأنا أتخبط في محيط نذاك جزيرة ذبيحة، يهطل الحلم على صخرها فيفتح مبسمي الصب مخدراً تغفو فيه الأشواق، ويصحو الشبق فأصرخ ملء حلمي ضمني... آه من قهرك... من صمتك المزروع أنغاماً... ضمني... آه من دمك يجري في عروقي... لا تتركني وحيدة... لم أصفك... ما كتبتك، فحس بي دون لمس... أدفيء صقيع الفؤاد... أشرق من ثنايا روحي كشمس شتاء تدغدغ الوجدان... جديد أنت كل مرة... ما عرفتك... ما اجتهدت أن أعرفك... حبك أعمق من النفس فكيف أفسرك حبيبي وأنت البحر وأنا نورس يحلق في مداك... يحتضر شوقاً ينازع اللفهة... أنت بحر أغرق فيه ومركب يسير في جرحي... داخلي ألف شوق وتوق... لو كان بيدي لجعلتك ابناً داخلي... نبضاً لقلبي... لو كان بيدي زرعتك ورداً دائم الإزهار بين المقلة والجفن... لو كان بيدي توجتك ملكاً... عرشك هذا القلب النابض بك وبعشقك.

ها أنت تُحَلِّقُ في سَما رُوحِي تُعيدُ لي ذاكرةَ الأشياءِ وتُهدي لي مُخَيَّلَتِي وتُفَجِّرُ  
البراكين بأوردتِي، وتضميني لحِضنِكَ يُشبهُ الفِرْدوسَ، فيمتدُّ تاريخي وتصنع كل مرة  
بداياتي وليس خاتمتي إذ يسرقني الوسن مترعة بحبك منتشية من حلم تمنيته ليس  
ينتهي.

وقفه سريعة...

يظنني الكثيرون امرأة مجنونة حين أتحدث عنك بصيغة الحاضر، ويعتقدون أنني عاجزة عن تقبل فكرة موتك... هم أغبياء صدقني فأنت بداخلي حي لا تموت... حتى حين تزوجت هذا البغل الذي ابتليت به قبلت به عناداً... نعم عاندتك لأنك خضعت لرغبة أُمِّي في تزويجي وأنت تعرف كل المعرفة أنه ليس على (مقاسي)!

نعم... عاندتك لأنه لا يشبهك في شيء وأنا لم أتمن في حياتي سواك رجلاً -أو من يشبهك في أسوأ الأحوال وربما أضعف الإيمان كما يقول المسلمون- اخترت لي ما هو نقيض لكل ما بك... هو حي ميت وأنت الميت الحي وأنا في انتظار قيامتي لألحق بك.

\*\*\*\*\*



## الأم مدرسة... إذا أعددتها...

- كنت أضحك يومها وأنا أقول لها:
- أموت وأشوفك بتبوسي بابا... نفسي أشوفه وهو بيحضنك.
- فكان كفك أسرع من البرق على وجهي وأنت تقولين:
- أنت طالعه وسخة لمين؟ كسر رقبتك.
- بكيت وقلت لك:
- ليه مش بتحضنني؟ ليه مش بتبوسيني؟ عمري ما شفتك بتحضني حد من أخواتي... ليه؟ وكمان بتضربيني علشان با اضحك معاكي.
- رددت عليّ:
- الضحك من غير سبب قلة أدب... وبعدين احنا عيله ما بتحضنش ولا بتبوس... احنا ناس محترمين ولاد ناس محترمين.
- من أين جاءكم الاحترام يا من تأكلين بأصابعك ثم تلحسينها؟

\*\*\*\*\*

ليست ككل البشر... هي بئر عميق ماءه عذب، أو ملح أجاج وقتما تريد... هي أكثر امرأة تتحدث عن المثاليات ولا تعمل بها... هي نموذج مثالي للسيدات اللاتي يتحدثن بالسوء عن أي واحدة... تتحدث بثقة أنه إذا صبحت امرأة على علي رجل وابتسمت له فبكل تأكيد قد نامت بأحضانه... هذه هي أفكارها.

أنتم جهلة أيها السادة الرجال... أنتم لا تعرفون عن النساء شيئاً... أنتم لا تدرون أنه حين تحكي امرأة عن تفاصيل فراشها وعلاقتها الحميمة مع زوجها لرجل آخر فمن المؤكد أنها تمنح جسدها لهذا الآخر.

عرفت بعلاقتها بصاحبها في العمل، وسمعت بأذني كلماتها المليئة بالشغف وأنا مرتبكة... كنت صغيرة في ثانوي حين عرفت وفهمت ماذا يعني بحث الإنسان عن الحب، وفهمت.

كنت كلما رن التليفون وسمعت صوت رفيقها، لا أملك إلا أن أرد بمنتهي القرف وهي فاهمة كل الفهم أنني فاهمة وتتجاهل هذا الفهم... أي أم هي تلك المرأة؟ شاهدتها في المصعد معلقاً بين الأدوار وهو يحتضنها من الخلف وكفيه تحتضنان ندييها وهي تضحك بغنج، لم أرها أو اسمعها تضحكه طوال حياتي... تأكدت أنها رأيتي وعرفت أنني رأيتها، ولم تطلب مني ألا أحدث أبي بما رأيتيه أو أعرفه... كانت نظراتها كافية أن تجعلني أصمت صمت القبور!

أعرف جيداً أنها تتألم من دورها كربة بيت هجرها زوجها، فصبت عواطفها وكل ما لديها من حب على ابنها، وتناست وجودي ووجود أخي الأصغر وغارت من نجاح أبي ولفظته عاطفتها، فمنحت قلبها ومشاعرها لعشيقتها أمجد باشا زغلول... زميلها في العمل، وزوج عشيقته أبي!

وهكذا... كتب عليّ أن أحب أبي لدرجة الذوبان في وجوده وأن أراه في نفس الوقت بين أحضان امرأتين، وكتب عليّ أن أخاف أُمّي خوف الموت، وأن أراها بين أحضان رجلين ولا أملك إلا الخرس... الحب أمامي ومن ورائي، وفوقي ومن تحتي وأنا منه محرومة كما قال الشعر القديم...

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

\*\*\*\*\*

## الأستاذ أمجد باشا زغلول

هو زوج المرأة التي يعشقها أبي... وهو الرجل الذي يعشق امرأة أبي... أمي...  
وهو معلمي الخاص الذي علمني مصادر قوة الأنثى وقدرتها السيطرة على أي رجل -  
فقط - بضعفها.

هو المعلم الفاسق الذي لا يعرف حرمة لمهنة يفترض فيها أن تكون الأشرف،  
والأرقى، والأظهر... كنت أرى فيه صورة أبي حتى عرفت بعلاقته بأبي!

ثم لاحظت نظراته لي... كان هو نفسه من غازلني وقبلني أول قبلة... كان  
يعطيني درساً خصوصياً وكان يضع يده على ركبتي أثناء الدرس... أحسها باردة أول  
الأمر ثم تصبح جمره من نار... نظرت في عينيه بثبات مرة من المرات فحرك يده  
لأعلى ركبتي على فخذي فارتعش جسدي، ولم يخفى عليه الأمر فوضع يده الأخرى  
في صدري واعتصر ثدي وأنا مشدوهة جامدة؛ حتى أخذ يفرك حلمتي، فأخذتني رعشة  
زلزلت كياني، وغمرتني نشوة بللت معها ثيابي؛ حين انتبهت قمت مرتبكة وركضت  
خارجة فلملم أوراقه وهو يقول: "كفاية كده النهار ده." وغادر.

جاء الأستاذ أمجد في موعده التالي، ولم يتورع أن يفعل ما فعله في المرة  
السابقة، وزاد على فعله أن وضع يدي على عضوه... علمني كيف أقضي له حاجته،  
وهو يقبلني بشغف يكاد يمزق شفاهي.

أصبح الدرس الخاص ثلاثه أقسام... يشرح لي أمجد الدرس، ثم تبدأ يده العبث  
أثناء إجابتي على الأسئلة حتى أرتعش شهوة، فأصبح مطالبة برد الجميل له، ثم تنتهي  
الحصة.

استمر الحال على ما هو عليه حتى رأيت مع أمي في المصعد، فامتعت عليه،  
ومنعت أن يمس شعرة مني، وكانت الامتحانات على الأبواب، فأقنعت أبي بأني بحاجة

للاستفادة من وقت الدرس الخاص في المذاكرة للاستعداد للامتحانات، فأعجبتة الفكرة  
ووافق.

## المتر أمجد الرباط الشريفى

الفلاح المتلون الخبيث الذي لا يتورع عن بيع أمه ليأكل بثمرها!  
كان أبى قد حاول المستحيل أن أعمل معه فى مكتبه الخاص، فأصررت على  
أن أخوض تجربة العمل بطريقتى، ووافق بعدما وعدته أن أشاركه أعباء المكتب بشكل  
منتظم.

كان مكتب المحاسبة القانونية الذى أسسه المحامى أمجد الرباط الشريفى يقع  
بالقرب من منزلنا فى شقة صغيرة لكن أنيقة.

استقبلنى المتر أمجد بلباقة وعاملنى أفضل معاملة حين استقبلنى أول مرة وأنا  
أبحث عن عمل... حين عرف اسمى اتضح أنه يعرف أبى، ورحب بى فى العمل  
بالمكتب الذى كان يقوم بالمراجعة القانونية لحسابات وميزانيات العديد من الشركات  
الصغيرة؛ لكنها كانت كافية لتجعل صاحب المكتب يعيش عيشة راضية.

مضى شهر والثانى والأمور تسير على أفضل ما يكون؛ لكن اتضح فيما بعد  
أن معاملة المتر بود ولفظ الوهلة الأولى منذ اللحظة التى دخلت فيها مكتبه لم تكن  
إلا مقدمة للالتفاف حولى، ونصب شباكه لاصطيادى.

تقرب منى بنعومة ثعبان، واستطاع أن يجعلنى أحكى له عن أوجاعى حين  
ظننت أنه يقدر ويتعاطف؛ لكن لم يكن تعاطفاً بل طعماً خبيثاً ألقاه فى طريقي،  
فالتقمته بكل هبل وسذاجة.

تعود أن يأتى لمكتبى، ويقف ورائى، ويضع يده على كتفى ويناقدنى فيما أفعل،  
وأحياناً يمسح بيده على شعري بود، أو يربت على ظهري بين كتفى برقة، وتعودت  
على فعله ولم اعترض حتى جاء يوم جاء فيه مدعياً أنه يراقب ما أفعل ووقف خلفى  
ووضع يده على كتفى وفجأة دار نصف دوره وإذا به يلتهم شفتى... حاولت التملص

منه لكن شلنتني المفاجأة، وزاد الطين بله أني بدأت استمتع بقبلته، واسترخي بين يديه بعدما أكمل دوران جسده ليواجهني، ويرفعني لأقف بين ذراعيه بلا حول ولا قوة شبه مغيبة.

أصبح التقبيل عادة يومية، تتكرر أحياناً عدة مرات حتى جاء يوم هممت فيه بمغادرة المكتب، فإذا به يطلب مني الانتظار والمجيء لغرفته... ذهبت بحسن نية فوجدته عارياً كما ولدته أمه... أخفيت عيوني بكفي واستدرت؛ لكنه تحرك بخفة ذئب وأغلق الباب، وجذبني لأحضانه وأنا أكاد أموت خوفاً فبكيت.

مرت الأيام وأصبحت عادة أن يغلق المكتب بعد نهاية العمل ليضاجعني دون أن يقول كلمة قبل أن يتركني أعود للمنزل... لا أدري هل اكتشف عاهرة في أم أني استسلمت خوفاً؛ لكن مرت الأيام لتثبت لي أن الشريفي لا صلة له بالشرف من قريب أو بعيد... كان فلاحاً متلوناً خبيثاً، لا يتورع عن بيع أمه ليأكل بثمنها... حاول أن يستغلني لإقامة علاقات جنسية مع عملاء المكتب حتى يضمن استمرارهم معه، وكان ذلك القشة التي قصمت ظهر البعير، فغادرت العمل غير نادمة.

## الدكتور أمجد روفائيل شنودة

ذهبت إليه مريضة وعدت من عنده قتيلة!

بدأت علاقتي به في يوم هامشي جداً لم أعتقد أنني سأتوقف يوماً عنده... ذهبت له كمريضة تبحث عن راحة من وجع يسير داخلي ببطء، ويمضي وفق ما يشاء متلاعباً بي.

دخلت عيادته بجسدي فقط بناءً على نصيحة مخلصة أنه من أمهر الأطباء الذين يعالجون مثل حالتي، وكانت روحي في مكان آخر لا أعرف كيف استجلبها. أدخلني في عالمه الذي يشبه جهاز الرنين المغناطيسي، فصرت غير قادرة على التحرك، أو التنفس، أو الاختلاج بأي اختلاجة أثناء وجودي في عالمه هذا الذي يشبه نفقاً أبيضاً ضيقاً.

هاجمني بفيضان متلاحقة وحملات مستمرة من التفهم اجتاحتني، وأحاطت بي كجيوش غازية لا تعرف التراجع، حطمت حصوني، ولم تجعل أمامي خياراً سوى الاستسلام.

تحرك بي في عالمه الذي لم يتجاوز العيادة، يغلق بابها، ويشعل المصباح الأحمر وما أن يضع يده على جسدي أغيب في عالم من الأحلام والرؤى، وتذوب الفتاة الرقيقة في كفه، ليدخل في وريدي شبق كما لو كان سائل جهنمي يتسلل في أنحائي، ليتحرك بي السرير الأبيض الضيق، لتبدأ جيوش، وماكينات حرب قديمة تُحکم سيطرتها على كياني كله جسد وروح، ثم يضحك داخلي ويقول لي فليحدث ما يحدث، فأغمض عيني، وأتجاهل تلك الجيوش التي تملأ كياني، ويتوقف قلبي، وأجدي أمارس لعبتي بعدما أكون قد دخلت داخلي إلي أعمق أحراش روحي حيث تقبع المجدلية، فأتماهى معها واهتم بما يدور من حوارات ومناكفات بيني وبينه حيث أحس بنفسني

في نزهة من تلك التي طالما حلمت أن تكون جنتي، ولم أعرفها في الواقع وإن كنت رأيتها في مستنسخات جوجان وفان جوخ.

وكما أدخلني عالمه طردني من جنته حين قال لي أن علاقتنا يجب أن تنتهي لأننا نغرق في الخطيئة... أحسست بذل لم يغادرني لليوم، ووقتها عرفت كم كنت رخيصة... انقطعت عنه، ومضى وقت فإذا به يعاود الاتصال بي محاولاً وصل ما انقطع؛ لكن هيهات، فقد مات جزء مني ومات معه طبيبي وحبيبي.

\*\*\*\*\*

تتسحب عتمة كوني هنا ومدينة ماء غارقة في ليلها الذي يسرق الأنوار فيسكن قلبي صقيع مسافر عبر تاريخي أنا إيزيس وحواء وكل نسوة التاريخ، ويتسرب من قلبي نور يصلي لأم النور أن أمديني برحمة منك يا ناصرة المساكين ورحمة للمتعبين وأنا متعبة، تتأدي روحي وأنا على حافة وقت بين موتين، ينتظرون سقوطي حين يتلاشى نوري وتغيبه عتمة القابعين فوق حلمي.

أيا أم النور أسعفيني أنا الخاطية التي تبحث عن خلاص، فتسقطها في الطريق قلوب ليلية مسافرة في دمي، تتسج خيوطها شباكاً من حرير، تحرقني في دخان وجعي الهارب مني إليّ.

أين مني أنا التي هربت؟ وكيف لي أن أعيدها لنغزل سوياً مواقيت طهر تغسل روحي كما شوارع المدينة؟

ضائعة أنا هنا، أبحث في الفراغ عن خطي براءتي التي كانت وعن أحبة راحوا ولم يبق منهم سوى اللا أحد، وليس من وجود يملأني فليس عنهم من بدل.

من يدلني على ظلالهم، وشوارع غيبت خطي أقدامهم لأكون؟  
منفياً أنا في منافي ذاتي الضائعة في كون سكنه برد محكيات عديمة المعنى، وغلفه صقيع حكايات تقف على دفء روحي وأنا أحلم أن يُشرق صبح يقهر الظلمة؛ لكن الغروب دائماً بديل الإصباح... وما بين حلم شروق وغروب لا يغيب، تغتالني

حكايات يوم تافهة، تحيط بروحي وبدني، لأصبح يرقة تسكن شبكة خيوط حرير يحيط بها الموت.



## أخوة يوسف

"انظروا كم حزين ويائس هو الصبي... هذا هو يوسف... لقد باعه إخوته لهؤلاء الرجال الذين هم في طريقهم إلى مصر، وهناك سيصير يوسف عبداً، فلماذا فعل إخوته من أبيه هذا الشيء الرديء؟ ذلك لأنهم يحسدون يوسف.

كان أبوهم يعقوب يحبّ يوسف كثيراً جداً وقد اظهر له حظوة بصنع قميص جميل له، فعندما رأى إخوته العشرة الأكبر سناً كم كان يعقوب يحبّ يوسف، بدءوا يحسدون ويبغضون يوسف؛ ولكن كان هنالك أيضاً سبب آخر لإبغاضهم إياه.

لقد حلم يوسف حلمين؛ وفي حلمي يوسف كليهما، سجد له إخوته؛ وعندما قص يوسف على إخوته هذين الحلمين، ازداد بغضهم أكثر أيضاً." تكوين ٣٧:١-٣٥

\*\*\*\*\*

كان عدد إخوة يوسف أحد عشر أحاً أختصرهم الزمن كلهم في أخوين ورزأني بهما!

أعرف جيداً أنهما يحباني؛ لكن يحبان نفسيهما ومصالحهما أكثر مما يحباني هذا بكل تأكيد.

\*\*\*\*\*

الكبير منهما كتلة من الذاتية التي لا تخجل أن تكون سفية... كان لا يستطيع أن يقربني يوم كان أبي سيد البيت؛ لكن بعدما مات فوجئت بكم الغباء والحسد يتفجران في سلوكه حتى صار سلوكه لا يفتأ يذكرني بكل ما عشته في أحضان أبي... أدهشني أنه يتذكر ما لا أذكر، أو بقی في عقلي من تفاصيل كنت اعتبرها عادية فإذا بها جمر غيرة مشتعل تحت رماد خوفه من أبي... أبيه!

كبرنا واتسعت مسافة المشاعر بيننا... أضع ما ورث عن أبي، وسافر مغترباً  
يبحث عن نصيب أفضل، فعاد بخيبة تحمل طفلاً، لا تجد متسعاً تهرب فيه من جنون  
أمي وغضبها إلا بيتي، وليس لها من صدر يستوعب غربتها، وأذن يسمع شكواها إلا  
أنا.

تعلم كيف يطأطئ الرأس أمام أمنا، ويتحمل تطاولها عليه وعلى زوجته لأن لا  
مكان يسعه وأسرته إلا بيتها، ويا لها من سخرية تلك التي يسخر بها منا القدر فقد  
عدت شقيقته التي يجاملها، ويحسن لها القول حين مدحتني زوجته عنده!  
صدق من قال أن المصالح تتصالح!

\*\*\*\*\*

كان الصغير مثابة ابن لي احتضنته منذ ولادتي وكان أول من تذوق لحمي وهو  
رضيع، ويبدو أن مذاق هذا اللحم علق بذاكرته فاعتاد أن يلتهمني كلي بعدما نسي  
طعم ثديي الذي عوضه عن ثدي أمه.

لا تسيئوا الظن فهو لم يمسس جسدي؛ لكنه وضعه في جوفه كما يلتهم  
المسيحيون جسد المسيح، ويشربون دمه قرباناً في التناول بالكنائس.

كان موت أبانا محور الهدم في حياته إذ تهدم العالم، وسقط قطعاً فوق رأسه  
حين اختفى السقف الذي يظله، فضاع رغم نكاهه المفرط، وأصبح رديفاً للفشل  
الإرادي، لا يرى في النجاح أو تحقيق الأهداف أية جدوى... هذا إن كان قد رأى  
الجدوى -أساساً- في أي شيء.

ظلت أذفعه وأمي تؤنبه حتى دخل كلية الهندسة، لكن استيقظ البغل داخله في  
السنة الثالثة من دراسته الجامعية، وقرر العناد توقف هذا البغل عن الدراسة وهو على  
باب التخرج!

جُنت أمي، وأقامت الدنيا ولم تقعد لها؛ لكنه أصم أذنيه عنها، وكان يخرج صبيحة  
اليوم، ولا يعود للبيت إلا والكل نيام.

استثمر نكاهه وما تعلمه في التعامل مع المقاولين، ولأنه كان لطيف المعشر  
حلو اللسان، أحبوه، فأصبح قادراً أن يعيل نفسه، وحين زادت أمي من الضغط عليه،  
هددها أن يترك المنزل ويستقل بحياته، فسكتت على مضض.  
لم يكن أبداً بخيلاً، فكم فاجأني بهداياه الصغيرة لي ولأولادي، ولكنه أيضاً لم يكن  
يلجأ لغيري في أزماته المالية، واثقاً من عدم قدرتي على رفض طلبه مهما بدا هذا  
الطلب غير منطقي... كان هذا الخبيث يعرف جيداً أن الطيور لا تقتل صغارها، وكان  
متأكداً من كونه صغيري؛ حتى بعدما صار رجلاً.

\*\*\*\*\*



## وما الحبّ إلا للحبيب الأوليّ

أحمد عبد الناصر عبد الصمد... الصعيدي الشريف الشهم... رجل قل أن تتجبه امرأة... لم أعرف في حياتي أظهر منه ولا أنقى!  
عرفته من خلال لجنة الرحلات بالكلية... كان بالسنة الأخيرة وعلى وشك التخرج... عقل مميز وأسلوب مهذب وأناقة بسيطة، تضيئها عناية فائقة بالشكل والنظافة.

تدفقت مشاعري تجاهه ولم أحرك ساكناً لكن تفاعلت روحه مع روحي عن بعد، وبدأ يبدي اهتمامه بي شيئاً فشيئاً ولم يكن أمامي سوى الاستجابة لمشاعره التي غمرتني بالدفء فقد فعلت كيمياء المشاعر فعلها، وحين طلب لقائي خارج الجامعة لم أمانع.

لم تكن مشاعري بريئة فقد أفسدها أستاذي الخاص كما لوث جسدي أما هو فقد كان أحرص على روحي وجسدي مني.

أقصى ما فعله هو تقبيل باطن كفي، وعرض الزواج عليّ بصراحة ووضوح شديدين، وخيرني أن أسلم أو أبقى على ديني، فأصابتني الدهشة من سلاسة أسلوبه في التفكير والمباشرة.

كان ردي بسيطاً ومباشراً أنا الأخرى فقد قلت له أنني لا أستطيع أن اقتل والدي المتدين بالزواج من مسلم وهو الرجل الذي أصبح (يُقدس) تقريباً كل عام منذ أن سمح للمصريين بزيارة القدس.

أصابه رفضي بصاعقة من الحزن، ورغم ذلك كان حريصاً على لقائي بانتظام حتى بعد انتهاء الدراسة وحصوله على شهادة التخرج المؤقتة، وبدأ رحلة انتهت باغترابه مليئاً بالحزن.

هل أخطأت بالاهتمام بمصير أبي وعدم الاهتمام بمصيري ومصير من أحبني وأحبيته؟

لم يكن أحمد عبد الناصر مجرد تجربة مررت بها بل كان جرحاً بخاصرة الروح لم يلتئم حتى الآن فهو لم يغادر لا روحي ولا حياتي، فحين تزوجت فوجئت في حفل زفافي بباقة ورد فاخرة تحمل اسمه، وفي كل مرة دخلت فيها المستشفى لأضع حملي؛ كانت تهنئته التليفونية تسبق خروجي من مستشفى الولادة.

كيف عرف بهذه المواعيد الخاصة والمعقدة؟

من أين أتى بها؟

كيف يعرف أرقام تليفوناتي؟

لا أعرف... لكن المؤكد ن روحه لم تغادر عالمي، فما زلت أشعر بها تحلق في عالمي حين أحس بالوحدة أو افتقاد الحب، وأشعر كما لو كانت هـ الروح الطاهرة الحنون، تصاحب روح أبي، أو تتبادل معها الحضور، لتربت على روحي المجعدة حين افتقد الراحة والحب، وحين تهاجمني وحوش الوجد التي يطلقها المرض.

صار أحمد عبد الناصر روح تعيد لي الثقة في وجود حب وخير بهذا الكون، وترد لي العذراء الطيبة، وتخلصني من أوجاع ذنوب المجذلية التي أعرف جيداً أنها مظلومة؛ وأن أفعالها ليست إلا رد فعل لقسوة الحياة والناس.

سامحيني سيدتي البتول فأنا منك وأنت مني... لكني لا أحب المجذلية وإن كنت أتعاش معها.

\*\*\*\*\*

طوي الأوراق، وبدل ثيابه، ودخل الحمام متحيراً ماذا يفعل، بينما تجوب رأسه أفكار سريلية، تعبت بعقله.

وجد نفسه يدخل حوض الاستحمام، ويقف تحت رذاذ الماء الذي اكتشف برودته دون أن يحاول أن يجعله دافئاً حتى أحس بقشعريرة، فخرج من حوض الاستحمام، ووضع ثوب الاستحمام على جسده.

أحس بقرصة جوع غريب، فتوجه للمطبخ، وفتح الثلاجة، وتناول منها قطعة خبز، وضع عليها بعض الجبن وأخذ يلوكها في آلية وهو يتحرك نحو غرفة نومه بشكل آلي.

وصل سريره وقد انتهى من التهام قطعة الخبز، فخلع ثوب الاستحمام، وارتمى عارياً على السرير، وتغطى لينام في أحضان هلاوس، وكوابيس غرائبية. استيقظ مبكراً في الصباح، فأعد قهوته، وشربها كالعادة بلا سكر، وبدل ثيابه، ومر على غرفة المكتب حيث أوراق ماريا، فأخذها وخرج ليركب سيارته. توجه لمكتبه في الجامعة، فدخل دون أن يلاحظ نظرة الاندهاش في عيني الساعي الذي لم يتعود حضوره للكلية مبكراً بهذا الشكل.

حياه الساعي ومضى لتحضير قهوته، بينما فتح هو جهاز الحاسب وبدأ في تحويل أوراق ماريا لنسخ إلكترونية بمسحها على الماسح الضوئي. انتهى من مسحها، وأرسلها بالبريد الإلكتروني لصديقه الدكتور كمال، ثم رتبها بحرص في ملف بلاستيكي، ووضعها في درج المكتب في الوقت الذي جاء فيه الساعي بجرعته الصباحية الثانية من القهوة المرة، فأخذ يحتسيها وهو يتصل بالدكتور كمال صديقه يطلب منه موعداً للتلاقي.

\*\*\*\*\*

انتهى يوم العمل بإيقاعه الرتيب بلا طعم ولا لون ولا رائحة... توقع أن تمر عليه ماريا لتأخذ أوراقها كما حدث من قبل، وتأخر عن موعد خروجه المعتاد من الكلية... وقف بعض الوقت عند سيارته على أمل أن تطل، ولم تظهر.

قاد سيارته بهدوء في طريق الكورنيش لا يدري أين يذهب... وجد نفسه أمام الكافتيريا التي سبق له الجلوس فيها مع ماريا، فأكمل الطريق ليعكس اتجاهه، وصف سيارته في الموقف واتجه لطاولة تطل مباشرة على البحر، وجلس مستمتعاً بهدوء المكان الذي يكاد يخلو من البشر... هي الإسكندرية وأماكنها الأثيرة حين تداعبها نسيمات البحر الباردة، فيفر الغرباء، ويذوب السكندريون في المطر، وتطير أحلامهم في أحضان رياح النوات المجنونة... وهو سكندري معجون برمل الشاطئ ومياه البحر المالحة.

أخذته أفكاره يمنة ويسرة... حاول أن يطاوعها، ويعمق التأمل في قضايا الوطن، ومسئوليات حياته الخاصة شبه الخربة، وأعباء العمل الخالي من الإبداع؛ لكنه وجد وجه ماريا يتشكل فوق أمواج البحر المتردفة وسع الفضاء وهي تبتسم فتظهر الفلق بين ثنية سنيها الأماميين بشكل سحره ولازال.

حاول بكل طاقته أن يتخلص من الصورة، وقال لنفسه أنها وهم، وأن الجدير به بعدما قرأ اعترافاتها المذلة أن يدرك أن الملاك الذي كان يعرفه مات، وأن البقية الباقية هي شبه إنسان ليس به إلا وجود داعر، فوجد نفسه يبتسم بلا وعي، وصوت داخلي يعرفه يقول له:

"أنت أهب، والا بتستهبل؟ أنت تدرك جيداً أنها ليست لا ملاكاً ولا شيطاناً أيها الدعي... هي ماريا القبطية... أفق."

تمت طقوس الجلسة حين أحضر له النادل قهوته المزدوجة المرة، فشربها وهو يحس بطعم مرارة الحياة ممتزجاً بمرارة القهوة، فابتسم وهو يقول لنفسه:

"متلازمة ستوكهولم وأصابتك يا ولد... توحد فيك الظالم والمظلوم... افرح."  
نهض وأخذ طريقه على الكورنيش الممتد، لا تعيقه أكوام الحجارة، ولا التفسير الذي حاق بالرصيف الذي يتم تجديده أو ترميمه... لا فرق... ارتعش من لفحات الهواء البارد... تذكر أنه لم يستعد للشتاء، ولم يهتم بارتداء ملابس مناسبة، لم يُذكره

أحد بالطبع فمن ذا الذي سيذكره؟ الأبناء الفاقدين المفقودين؟ أم الزوجة المتمرّة التي لو أراد تحطيمها لفعل؛ لكنه أبى فكرامته لا تسمح له فهي في النهاية شريكة مرحلة من مراحل العمر، وأم لأبنائه.

استدار عائداً، وفكر أن يركب سيارة أجرة إلى موقع سيارته لكنه قرر أن يسير عائداً من نفس الطريق، وعقله يسخر منه ويردد...

"خطى كتبت علينا، ومن كتبت عليه خطى مشاها."

ضحك من نفسه فيها هو العقل الفلسفي العلمي يحتمي بالغيب، ويفسر واقعه بالقدريّة.

وصل سيارته فركبها وعاد فأدخلها الجراح، وصعد لمنزله يمارس طقوس العودة...

خلع ملابس الخروج، وكعادته في ترتيب الأشياء اهتم بتعليق البذلة والقميص في مكانهما بالدولاب، وصف الحذاء في المكان المخصص له، وارتنى ثياب المنزل، وتوجه للثلاجة في المطبخ، فتناول قطعة خبز بارد، غطاها ببعض الجبن، وزاد عليها بعض شرائح الطماطم... فتح علبة بيّرة حين اكتشف عدم قدرته على البلع ليسوغ ما يأكل، استلقى على السرير حين انتهى، وفتح التلفزيون على قناة الأخبار التي اعتاد مشاهدتها، وتمدد يراقب العالم من خلال نوافذ التلفزيون حتى غلبته سنة من النوم استغرق فيها، وعلا شخير، مؤذناً باقتراب نزلة برد.

\*\*\*\*\*

استيقظ فزعاً على صوت هاتفه كجبل تناثر قطعاً فوق رأسه، وامتدت يده تبحث عن هذا الصوت والنوم ما زال يسيطر عليه، وعيناه تبحثان عن ضوء الهاتف... عثر عليه فأدهشه أن يرى اسم ماريّا على الشاشة، فارتفع نبضه، وزاد ضغطه، وسرعة دقات قلبه... تردد لحظة فقد تذكر فوراً كيف اتصلت به في الصباح المبكر لتحكي له

غزوات زوجها الجنسية... سكت الهاتف، فهدأ للحظة لم يتركه الهاتف يهنأ بها فقد عاود الرنين الملح، فأمسك بالهاتف ورد، فأدهشه أن يسمع صوت ماهر شقيق ماريا آتياً من البعيد...

- دكتور أحمد؟

- نعم أنا أحمد... خير؟

- أنا آسف يا دكتور... أنا عارف أنها قلة أدب أني أزعج حضرتك في وقت زي ده... بس صدقني أنا مضطر.

- حضرتك مين؟

- أنا ماهر أخو ماريا.

تنبه وصار قادراً على تركيز أفكاره بشكل أفضل فرد:

- خير يا أستاذ ماهر؟

- ماريا تعبت قوي واضطرينا نقلها المستشفى.

- تعبت أمتي؟ وإزاي؟

- جات لها اتاك وقلبها وقف من شدة الألم.

- يا ساتر... وبعدين؟

- نقلناها على طول لسنتر طبي جنبنا عملوا لها تدايك لعضلة القلب، وركبوا لها

محاليل، واتصلنا بالدكتور اللي بيعالجها وفهم الدكتور في السنتر يضيف أدوية

إيه للي اداها لها، وقالوا يبقوا على تواصل لحد ما يجي بنفسه يشوفها.

- ربنا يستر عليها... أأمربي أنا أقدر اعمل إيه؟

- أنا بكرر أسفي يا دكتور أنا عارف إن الوقت مش مناسب... بس...

- ما تبسبش يا بني قول على طول... عايز فلوس؟ عايزني آجي؟
- كتر خيرك يا دكتور... مستوره والحمد لله، ولو حضرتك تعبت نفسك وجيت مش ها يفرق حاجة في الوضع.
- طيب إيه المطلوب مني؟
- ماريا مصمة تكلم بابا!
- بتقول إيه؟
- زي ما بقول لحضرتك كده... مصمة تكلم بابا وبتقول أكيد إن فيه حاجة قوية مانعاه يكون معاها وعايزة تظمنه عليها وتظمنن عليه.
- يعني هي مش فاكهه أنه متوفي؟
- بالعكس... هي متأكدة أنه عايش وفي المزرعة بتاعته علشان كده ما حدش عارف يوصل له.
- فهمت... الأتاك خلت الأحداث والأزمنة تتداخل في ذاكرتها.
- مش عارف يا دكتور... ممكن كده... لكن المؤكد أنها فقدت جزء من الذاكرة... بتفكر حاجات غريبة الكل نسيها، وناسية حاجات تانية ما فاتش عليها وقت طويل... أنا حاولت أفهمها إن أنا ها اتصل بيه واطمنه رفضت وقالت إن مفيش حد يقدر يوصل له غير الدكتور أحمد... وبعد مجهود حاولت أعرف منها مين الدكتور أحمد لحد ما فهمت إن سعادتك أستاذها وفكرتني بحضرتك وإن خالك كان جارنا... والمسيح الحي يا دكتور حاولت اقنعها ان احنا نستى للصبح ونكلمك لكن اتشنجت وبعيظت وما عرفتش اعمل إيه اضطريت أطلع رقمك من تليفونها بناءً على طلبها.

- أنت جنبها؟
- مش بعيد.
- اديها لي.
- .....
- ألو... ماريا؟
- دكتور أحمد؟
- نعم يا ماريا أنا أحمد.
- كويس انهم لقيوك؟
- تحت أمرك... خير... عايزه إيه؟
- شوف... أنا عايزاك تكلم بابا تظمنه عليا...
- واشمعنى أنا؟ ما حد من أخواتك أو عمامك يكلموه.
- أنا عايزاك أنت اللي تكلمه... أنتوا طول عمركم صحاب وهو بيحبك ويثق فيك،  
وأخواتي دول مفيش منهم فايده، واعمامي إيدك منهم والأرض... يعرفوا يمدوا  
إيدهم ويس.
- حاضر... ها اظمنه عليكي.
- وترد عليّ بعد ما اتكلمه... أنا مش ها انام ها فضل صاحبة منتظرة مكالمتك...  
أوكي؟
- أوكي... اتظمني ها اكلمه وأرد عليكي

\*\*\*\*\*

أغلق الهاتف، واستغرق في التفكير، يكاد عقله يتوقف مضى الوقت دون أن يشعر إلا برنين الهاتف يدق داخل رأسه وليس في أذنيه... كان يدرك أن الاتصال من ماريا... رد فجاءه الصوت واهناً...

- ما اتصلتس ليه؟ ما لقيتس بابا أنت كمان؟
- لا لقيته بس احتجت شوية وقت علشان الاقيه واعرف اتصل بيه.
- قلت له أي كويسة؟
- نعم وبيسلم عليكى وببيوسك وبيقول لك أنه بيصلي لك.
- ها يجي امتى طيب؟ وحشني قوي.
- هو بيقول إن المشاكل في المزرعة كتير قوي ومحتاج شوية وقت لكن مجرد ما يخلص ها تكوني أنت أول واحدة يروح لها.
- مرسى قوي يا أحمد... ما اتحرمش منك... كنت عارفه إن ما حدش ها يعرف يوصل لبابا غيرك.
- أرجوكى بقى أنت تسترخي وتنامي دلوقتي علشان لما يجي بابا يلافيكي كويسة.
- حاضر... تصبح على خير.

\*\*\*\*\*

تمدد في سريره وقد ضاع النوم، واختفى الوسن، وحضرت الأفكار كقطيع خيول برية تركض في فضاء لا نهائي... لا يعرف هل يستغرب ما حدث أم يستوعبه؟ يتساءل:

"لماذا أنا؟ كيف حضرت في عقلها وهي في تيه المخدر؟ كيف استطاع هذا العقل أن يستخلصني دون البشر، ويضعني في مصاف أحب الناس، وأقربهم لقلبها، ويستحضرنى لأوصل له رسالة مستحيل إيصالها؟"

تسلل ضوء النهار مستحياً من بين الستائر المدلاة فنهض متكاسلاً، ودخل الحمام وقضى حاجته، ثم وضع نفسه تحت شلال الماء الساخن لا يدري ماذا يفعل، خرج بعد فترة من تحت الماء، وارتدى روب الحمام، وجفف شعره، ومضى إلى المطبخ يصنع قهوته الصباحية وما أن انتهى حتى حمل الكأس الكبير الممتلئ ومضى إلى غرفة نومه، ليجد نفسه يرتدي ثياب الخروج، ويختار معطفاً ثقيلاً، وكوفية لفها حول رقبته، واحتسى قهوته، وخرج لا يلوي على شيء.

سار على قدميه في اتجاه الشاطئ، تلمح وجهه رياح البرد الشتائية، يبحث عن مكان يحتويه في هذا الوقت المبكر... سار كثيراً حتى عثر على أحد الأماكن التي ما زالت لم تغلق أبوابها منذ الأمس، أو التي فتحت مبكراً لسبب غير معلوم، فدخل وجلس مواجهاً صديقه البحر، متلذذاً بلفحات الرياح المشبعة باليود، يستشققها كجائع دهر، وجد وليمة بلا موانع أو حراس.

مضى الوقت دون أن يشعر حتى انتبه على النادل يتحرك حوله كما لو كان يسأله أن يغادر أو يطلب مشروباً آخرأ بعدما طال به الجلوس، فطلب منه قهوة مزدوجة، وأخرج هاتفه من جيبه، واتصل بسكرتيرة القسم الذي يعمل به، وأخطرها بأنه لن يحضر اليوم لتخبر الطلاب، وبعد أن احتسى القهوة شعر بالملل من المكان فنقد النادل حسابه، وغادر، ومضى يسير على الكورنيش على غير هدى.

تذكر فجأة أنه لم يتصل للاطمئنان على ماري، اتصل بهاتفها، فأتاه صوت أخاها، فسأله عنها، فأجابه بأنها نائمة منذ الأمس ولم تستيقظ حتى الآن لكن الأطباء يقولون أن حالتها استقرت مع العلاج، شكره وأنهى الاتصال، وواصل السير دون أن يشعر بقوة الرياح التي تتقاذفه يمناً ويسرة.

وجد نفسه فجأة في سيدي جابر فتوقف للحظة ثم عكس اتجاهه وواصل السير لا يلوي على شيء، ولا يدري أين تأخذه قدماه كان مشوش التفكير بدرجة لم يعتدها منذ زمن بعيد، فاستمر بالسير غير عابئ بالرياح الباردة تلمح وجهه حتى وصل محطة

الرمل حين سمع رنين الهاتف وشعر باهتزازة في جيبه، فمد يده متكاسلاً وأخرجه، ولمعت عيناه دهشة حين رأى اسم ماريًا وحين رد على الاتصال جاءه صوتها واهناً لكنه فرح... سألتها عن حالها، فردت أنها استيقظت لتوها من النوم وأنه الوحيد الذي شعرت بالحاجة للاتصال به، شعر بدقات قلبه تتسارع، وكاد قلبه أن يتوقف وهو يسمعها تقول له: "أنا بحبك قوي يا أحمد." ثم تنهي الاتصال.

شعر للحظة أنه يسير بين السحاب، وشعر فجأة بالجوع، فقرر أن يذهب لكشك أم مروة في بحري، ويأكل دنيس مشوي، ورأى نفسه مثل بيكاسو، يمسك بالهيكل العظمي للسمكة بعد أن التهم لحمها، فابتسم، وغذ السير في طريقه إلى بحري.

\*\*\*\*\*

تسللت الأفكار لرأسه وهو في طريقه لتناول الغذاء لا يدري هل استحضرها عقله أم أنها حاضرة -فقط- أخرجتها مكاملة ماريًا من جب الماضي، وغرفة التذكارات المنسية؟

"أنا حاضر غائب لا أتحمل نفسي ولا الوجود الفارغ، يحيط بي صمت خانق مرير؛ كما لو كنت ممثلاً على خشبة مسرح خاو، وكراسي فارغة بلا جمهور، ولا ممثلين والصمت حل محل الموسيقى.

لماذا تأذت حياتي؟

من تكون ماريًا؟

هل أصبحت كل شيء؟

لم تكن شيئاً سوى ذكريات عمر مضى ونسيته.

لماذا نسيته، وأين ذهب كل شيء؟

من سرق الكل شيء هذا؟ من الجاني؟

أ هو الحب يطرق بابي في خريف العمر؟

ما هو الحب؟

أشر هو أم خير؟ ظلم أو عدل؟  
إن كان خيراً فلم ضاع عمري دون أن يلقاني؟  
وإذا كان عدلاً لم يجعلني مرتكباً هكذا؟  
إن لم يكن وليس أماناً ولا وفاءً... فما هو؟  
أ أنا واهم؟

هل أبني قصوراً من رمال؟

ها أنا أسير وحدي تتوارد في رأسي صور لا تُحصى كشريط سينما لا أستطيع  
أن أوقفه... تتزاحم الخيالات في مخيلتي لتعود للحياة كشيء أقوى من الموت أحاول  
قتله فيعود للحياة مرة أخرى.

وصل حيث أم مروة فأخذ مكانه، وجاءته مروة مبتسمة تمسح الطاولة، وتسأله  
عن طلباته، ليقول لها: "دنيس مشوي زي كل مرة." فتمضي لإعداد طلبه بينما يعود  
ليغرق في أفكاره التي لم تنقطع.

أمضى بعض الوقت ينظر لميناء الصيادين، ويتطلع للأفق والبحر ولم يشعر  
إلا بمرورة تقول له: "بالهنا والشفاء يا دكتور." فانتهى وتمتم بشكرها دون أن يعي ماذا  
ينطق، وأخذ في تناول الطعام بآلية وسرعان ما شعر بالامتلاء، فنادى على الفتاة  
وأعطاه ثمن الطعام، ونهض سائراً لا تكاد تحمله قدماه حتى وصل إلى الطريق فأشار  
لأول سيارة أجرة مرت به، وقال للسائق على عنوان بيته، وتكومت نفسه على نفسه،  
ولم يشعر إلا بالسيارة تقف أمام منزله، فدفق للسائق أجرته، وجرر نفسه بصعوبة  
حتى وصل لسريره، فارتدى عليه بكامل ثيابه، وغرق في نوبة بكاء لم يعرف مثلها في  
حياته حتى اختطفه النوم.

\*\*\*\*\*

استيقظ مجهداً يتناول عليه شعور بالجوع، وآخر بالامتلاء، فتوجه للمطبخ يعد  
لنفسه كوباً من النسكافيه ربما يتغير مزاجه، وضع حبات النسكافيه في الكأس، وترك

الماء يغلي في الغلاية الكهربائية، وحين سكت صوت الغلاية صب الماء ووضع بعضاً من الماء البارد، وأخذ الكأس وتحرك نحو المكتب ونقاط المشروب تتسرب من بين يديه دون أن ينتبه إليها، والسبب لا يدركه تذكر أبناءه وكيف كان يهتم أن يقدم لهما وجبة الافطار التي يعدها بنفسه، ويتأكد من ذهابهما للمدرسة، ثم يتفرغ لتنظيف المطبخ بينما صوت شخير الزوجة الأم يصله من غرفة النوم يؤنس وحدته.

لاحظت بعينين كليتين حبيبات سوداء منتثرة، فلملمها ووضعها في أنية خزف صينية موشاة بتنين متأهب للقتال بغم مفتوح ينفث النيران... انتبه إلى جلبه الشارع تأتي من النافذة المواربة، فنظر لساعة الحائط فوجدها تشير للثانية عشرة ظهراً... طارد ذهنه هاجس المرض اللعين الذي اختطف أباه وأمه، ورآه يحاصره في إحدى زوايا الغرفة، ويتجه نحوه على أطراف أصابعه بتؤدة بليدة حتى باغته من الخلف، وأحكم قبضته فوق رقبته، فصرخ صرخة مدوية لم يسمعها أحد، فانهار باكياً فوق المكتب.

جمع شتات نفسه، وأمسك بالهاتف، واتصل بصديقه الوحيد الدكتور كمال، واتفق معه على لقاء في عيادته التي تطل على ميدان حديقة الخالدين بعد موعد انتهاء العيادة... أكمل احتساء النسكافيه، وعاد إلى فراشه، واستغرق في نوم عميق استغرق جل النهار وحين استيقظ أحس بحاجة للاستحمام، فاستحم وجلس يقرأ حتى اقترب موعد لقاءه بصديقه، فارتدى ثيابه، ونزل واتجه للعيادة سيراً على قدميه.

\*\*\*\*\*

استقبله الدكتور كمال مبتسماً وهو يقول له أنه لن يستطيع استضافته بقهوة تماثل قهوته وعليه أن يقنع بما لديه في (الترمس) الخاص بالعيادة، وتوجهها لشرفة العيادة المطلّة على الميدان، وجلسا في المواجهة لا يفصل بينهما سوى طاولة صغيرة عليها (ترمس) القهوة وكوبين... جلس أحمد صامتاً مما دفع كمال لبدء الحديث...

- إيه يا أبو حميد... مالك؟ لا أسكت الله لك حساً.

- مفيش يا كمال يا أخويا... بس حاسس بحزن شديد.
- خير؟
- افكرت أولادي النهارده والذكريات معاهم فجرت جويا مشاعر مؤلمة خلنتي أبكي وبشدة.
- كويس أنك بكيت... ده تفرغ للشحنة النفسية اللي جواك.
- أرجوك يا كمال... أنا النهارده مش محتاج للدكتور النفسي اللي جواك... أنا جاي ومحتاج لصاحبي كمال مش الدكتور كمال.
- ياه... ده أنت جامد قوي.
- فاكرا يا كمال أيام ثورة يناير لما كنا بنقعد هنا في نفس المكان ده ونراقب اللي بيحصل؟
- أكيد فاكرا... ودي حاجة تتنسي.
- فاكرا ميدان القائد إبراهيم كان هادي ازاي يوم 11؟
- صحيح... ومش عارف أفسر ده؟
- ما سألتش نفسك ليه الميدان ابتدا يتملأ بع كده؟
- لا.
- مسألتش نفسك ليه اختيار ميدان القائد إبراهيم علشان يكون مركز للتجمع رغم إن فيه ميادين أكبر ولها شهرة تاريخية في التظاهر؟
- قصدك زي ميدان المنشية قدام البورصة؟
- بالظبط... ده كان مكان شبه رسمي للتجمع في الخمسينات والستينات وحتى في السبعينات لما اتحركت منه الناس لما ناصر مات.

- صحيح.
- وكمان عندك الميدان اللي جنب منه.
- اللي ورا الجندي المجهول.
- صح... ويدان فيكتور عمانويل في سموحة وأماكن تانية كتير... اشمعنى القائد إبراهيم وهو مكان مساحته محدودة جداً؟
- مش عارف.
- أنا أقول لك... الجامع يا دكتور... الجامع هو السبب.
- وإيه علاقة الجامع بمظاهرات الشباب؟
- الجامع ده من فترة كان بيتعمل مركز لنشاط الجماعة.
- الإخوان؟
- نعم... صلاة الجمعة... التراويح والتهجد في رمضان، وصلاة العيد، والاستقرار على أنه يكون مقر لعزاء كبار الشخصيات.
- قصدك...
- قصدي إن المكان ده اتشغل لما الإخوان قرروا يشاركوا في اللي بيحصل في ميدان التحرير في مصر.
- تفسير معقول... بس أنا عايز أعرف آخر أخبارك... عامل إيه في موضوع ماريا؟
- أنا مش عايز اتكلم عن ماريا.
- ليه بس؟

- من غير ليه زي ما بيقول الجنرال الدكتور الموسيقار... أنا عايز أنساني...
- اتجاهلني... عايز أشغل دماغي دلوقتي بحاجة عامة... تاريخ... سياسة... عايز رأيك أنت النهاردة بعد ما اتغيرت الأيام ومرت مياه كثير من تحت الجسر... أنت يا كمال يا عواض شايف إيه؟
- أنت قلت مش عايز الدكتور النفسي، وأنا تحليبي مرتبط بالطب النفسي.
- مدام مش ها تعمل علي أنا تحديداً دكتور... خد راحتك.
- شوف يا سيدي... أنا كلامي ها يكون عن مبارك.
- واشمعنى مبارك بالذات؟
- لأنه محور اللي حصل وأنا مش ها اعرض عليك رأي شخصي لكن أنا من خلال متابعتي للأوراق العلمية لقيت تقرير سري للمخابرات الأمريكية عن الحالة النفسية للرئيس المخلوع تم تسريبه ضمن 24 ألف مستند.
- أنهي مخلوع؟ مرسي والا مبارك؟
- مبارك يا أخي... ركز معايا.
- ماشي... والوثائق دي مصدرها مين؟
- دي وثائق اعترف الجنرال وليام جي لين نائب وزير الدفاع الأمريكي بسرقتها.
- أنت ليه بتهرب من الكلام عن نفسك يا أحمد؟ ليه مش عايز تفهمني مالك؟
- وبتقول إيه الوثائق دي؟
- برضه... يا سلام يا أخي على عندك... ماشي... بتقول إن مبارك حسب تحليل شخصيته من علماء نفس متخصصين له عدة صفات تلخصت في كونه عنيد،



- فيه تقرير وضعه اثنتان من العلماء الأمريكيان (بيتر روزنفيلد) من جامعة (نورث ويسترن) بولاية شيكاغو والعالم (ديفيد إيجمان) خبير علوم الدماغ والتصرفات الإنسانية من جامعة (بييلر) الطبية بولاية تكساس يؤكد أن علماء المخبرات الأمريكية ما قدروا يحلوا نفسية الرئيس جمال عبد الناصر والسادات وقت ما كانوا عايشين زي ما عملوا مع مبارك.

- وياه السبب؟

- العلوم الحديثة.

- وحددوا الفرق بين الثلاثه؟

- اكتشفوا فروق نفسية كبيرة، أكدت أن مبارك كان الأضعف نفسياً.

- مش مبالغ فيه الكلام ده؟

- لا.. لأنهم حطوا مبارك في زيارته المتعددة لأمريكا في اختبارات نفسية متطورة للغاية من غير ما يعرف لا هو ولا اللي معاه أن رئيسهم يخضع لتجارب علمية نفسية لكشف ما يدور بعقله.

- وده اتعمل إزاي؟ والا ما عندكش فكرة؟

- التقرير اللي جه فيه الكلام بيقول أنهم كانوا بيعزموه يتفرج على أفلام تسجيلية بحضور الرئيس الأمريكي في البيت الأبيض وكان فيه كاميرا على المكان الذي ها يقعد فيه بتسجل له أفلام كشفت عن شخصيته.

- معقولة؟ وأفلام إيه دي اللي تخليه يخر اللي جواه؟

- كانوا بيختاروا أفلام معينة والتقرير بيعترف أنهم كمان فبركوا أفلام بتعرض صور معينة لأشخاص من معارفه وشخصيات عالمية بتخليهم يعرفوا من رد فعل حدقة

عينيه وانفعالات وجهه حبه أو كرهه... احترامه أو احتقاره للشخصية صاحبة الصورة.

- والنتيجة؟

- تخيل أنه كان بيكره ويحتقر عدد كبير من زعماء ورؤساء العالم منهم جيمي كارتر، وجورج بوش، وصادام حسين، وعلي عبد الله صالح، والقذافي وتصدق أنه كان بيكره الرئيس جمال عبد الناصر والسادات!

- بتفكرني برواية الأخ الأكبر... حاجة تخوف.

- كانوا بيعرفوا تفكيره في الموضوعات بنسبة أكثر من 74% بطريقة علمية حقيقية حتى نوعية السلاح اللي ها طلبها كانوا يعرفوها قبل ما يطلب.

- إزاي الكلام ده؟ بيفتحوا المندل والا بيضربوا الودع؟ ده كلام يمشول.

- كانوا بيعرضوا نوعيات معينة من الأسلحة ويسجلوا ردود فعله ويحللوا علمياً ومنها يتعرفوا علي اللي ها يطلبه.

- يا ساتر... للدرجة دي؟

- وأكثر يا أحمد... التقرير كشف أنهم وضعوه هو وغيره علي جهاز ركبوه في جهاز الترجمة الفورية بيسجل أشعة موجات دماغية اسمها (بي 300) ومنها كانوا يدرسوا شخصيته بشكل أعمق بعلم معروف باسم (القوانين العصبية) NEUROLAW.

- طيب والتقارير الطبية اللي قلت انهم كانوا بيجمعوها استفادوا منها ازاي؟

- التقارير دي كشفت أسرار مبارك (الشخصية والجسد) لما حللوا الحامض النووي له لقبوا جين معروف باسم MAO-A معروف أنه (الجين المقاتل) ووجوده عند



- بالطبط... عايز مصر ملكية، وفكر في التوريث وخطط لكده.
- الله لا يسامحه هو واللي زيه... دمرُوا بلد من أعظم بلاد الدنيا.
- الفساد يا صاحبي... اللي أثبتت صورة أشعة مقطعية أن في واحد من فصوص مخه جزء يثبت ميله للإجرام ومنه أمكنهم تفسير حجم الفساد طول حكمه.
- الغريب إن الراجل ده كان سهل الانقياد والخضوع لبعض الشخصيات زي زكريا عزمي وجمال عبد العزيز وغيرهم.
- اتكلمت التقارير عن الحالة السيئة دي كمان وقالت عن الشخصين دول تحديداً "كان يمكنهم لعب الكرة بهذا الرجل بسبب مرضه".
- زي ما بيقول عمنا صلاح عبد الصبور "كيف ترعرع في وادينا الطيب هذا القدر من السفلة والأوغاد" إزاي بلد زي مصر يحكمها ثلاثين سنة واحد بطئ الفهم، يكره الإسلام والعرب وعنده بارانوايا بتحسسه أنه فوق العالم كله... فارغ وقصير النظر شايف إن الرؤساء اللي سبقوه أقل منه، معاه أرقى درجات العلوم العسكرية ورغم كده جاهل، مش بيحب القراءة، بيعشق المال والسلطة، ومش بي فهم نهائياً ولا مهتم بالأمن القومي، والوطن بالنسبة له مراته وعياله.
- ودلوقتي مش ها تقولي مالك؟
- لا أنا ها امشي وها ابقى اكلمك بعدين.

\*\*\*\*\*

نزل من العيادة على السلم ولم يركب المصعد، وسار بجوار سور كلية الطب معتزماً التوجه لمنزله سيراً على الأقدام إلا أن قدميه ساقطاه دون إرادة منه إلى المستشفى الذي ترقد فيه ماريا!

دخل المستشفى وتوجه للاستقبال على استحياء، وسأل موظفة الاستقبال عن ماريًا، فابتسمت هاشة في وجهه قائلة أن حالتها تحسنت، وتم نقلها من العناية المركزة لغرفة أعطته رقمها موشحاً بابتسامة موظفة استقبال محترفة... سعد السلم حيث توجد الغرفة، وطرق الباب بهدوء ففتحته أمها ووراءها شقيق ماريًا الصغير الذي سارع بالترحيب به.

بدا عليه الارتباك، وأخذ في الاعتذار للأم عن الإزعاج في الوقت الذي لاحظ فيه نظرة ماريًا وابتسامتها التي تشي بالفلق الساحر بين ثنيتي أسنانها... لم ترد الأم بينما لمعت عيناها بريق شك غير متخف، فتوجه لماريًا ومد يده لها فصافحته معذرة عن عدم قدرتها على الجلوس، فردد بعض الكلمات الخجلة تعبر عن اعتذاره عن الحضور بلا موعد وأنه فقط جاء للاطمئنان على ماريًا بعد محادثة أخيها له ومحادثته معها، فنظرت الأم لابنها نظرة استفسار تشي بقلق أو غضب لم يستطع أحمد تفسيره، لكنه لاحظ إشارة ماريًا له أن يقترب منها، فاقترب منها فطلبت منه أن يعطيها أذنه لتقول له كلمة خاصة، ففعل وسمعها تهمس له: "أنا بحبك موت يا أحمد".

ارتبك وابتعد كما لو مسه مس من الجن، واعتذر من الأم وابنها، وغادر فيما يشبه الركض.

\*\*\*\*\*

جاءت الممرضة ووضعت العقار المهدئ في عبوة المحلول وما هي إلا لحظات حتى غابت ماريًا في نوم عميق وأخبرت الممرضة الأم وابنها أنها لن تستيقظ قبل الصباح وأن وجودهما لن يفيد في شيء فأشارت الأم لابنها واستندت على ذراعه وعلى باب المستشفى استوقفا سيارة أجرة، توجهت بهما للبيت.

\*\*\*\*\*

جذبت ابنها من ياقة قميصه وهي تلقي بنفسها على أقرب مقعد فور دخولها من باب الشقة، ونظرت في عينيه بغضب وسألته:

- مين الدكتور أحمد ده يا بغل؟ ويعرف ماريا منين؟ وأنت تعرفه ازاي؟ وليه ما قتلش؟ انطق.
  - معقولة مش فاكراه؟ كنت فاكرك عارفاه.
  - وها اعرفه منين يا حمار؟
  - بطلي شتيمة بقى... إيه... ما تعرفيش تتكلمي من غير شتيمة؟
  - لو ما نطقتش ها انسل الشبشب على دماغك.
  - أنت بجد مش عارفة الدكتور أحمد؟
  - وها أعرفه منين يا ابن الخايبة؟
  - ده ابن أخو عم عبده جارنا في بيتنا القديم في العطارين.
  - بجد؟ وإيه اللي لم الشامي ع المغربي؟
  - ما هو يبقى أستاذ ماريا في الكلية.
  - وهو أستاذ الكلية بيروح لتلامذته العيانين؟
  - لا.. أنا اللي قلت الله.
  - وإيه اللي يخليك تقول له يا معرص؟ أنت ما تعرفش أختك؟
  - اسمعي بقى وبتلي شتيمة... مش كده... وبعدين مالها أختي؟ أختي زي الفل...  
ده بدل ما تحني عليها في عياها؟
  - بطل فلسفة واحكي لي كل حاجة بالتفصيل يا ابن الخايبة.
- أخذ يحكي لها عن مكالمة ماريا، وتصورها أن الوحيد القادر على الاتصال بأبيها هو الدكتور أحمد وهي تستفسر عن كل كبيرة وصغيرة حتى اعتصرت منه كل ما يعرف.

- منه لله اللي جابكم... ما ريحنيش وهو عايش، ومشيليني الهم وهو ميت... منه لله... الله لا يرحمه.

\*\*\*\*\*

# القدر يقرع الأبواب



\*\*\*

كما لو كان يمارس طقساً مقدساً، صف سيارته بحرص في ساحة الانتظار الخاصة بنايدي أساتذة الجامعة، ولم يلاحظ سيارة صديقه كمال، ومضى سائراً لمكانه المفضل ليجده بانتظاره، فهش له سعيداً فقد اغتالت الوحدة روحه، وكان بأمس الحاجة لرفقة حقيقية وليس هناك من هو أقرب لنفسه من كمال.

سرعان ما جاء النادل فأعطاه علبة البن الخاص به، والتفت لصديقه الطبيب، وحكا له بلا مقدمات الاتصال التليفوني بينه وبين ماريما بحماس لم يعتده في نفسه من زمن، واتبعه بقصة زيارته لها، ولم يوقفه عن الاسترسال في الكلام سوى النادل وقد جاء بفناجين القهوة تفوح رائحتها المميزة، فمد يده يحتسي من فنجانته بينما وضع كمال فنجانته أمامه وأخذ ينظر إليه باستغراق لاحظته، فسأله:

- بتبص لي كده ليه.
- مفيش حاجه... عادي.
- لأ... فيه حاجة واقفه ف زورك.
- نظر له كمال ملياً ثم تحدث ببطء...
- أنا شفت ماريما وكلامك والورق اللي بعته لي أكد لي إن اللي شفتها هي ماريما.
- نهض أحمد كما لو أن جنأ مسه، وشعر بأنه عار في وسط المدينة، ينظر الغادي والرائح لعورته...
- بتقول إيه؟ شفتها فين؟ وامتي؟ وعرفتھا ازاى؟
- اقعد وما تبقاش أهبل... أنت ناسي إن أنا دكتور استشاري؟
- وإيه علاقة ده بكلامنا؟
- أنت عارف إن إسكندرية صغيرة، وأنا باشتغل في كذا مستشفى خاص علشان أعرف أعيش... زي العوالم كده... با انحنت... اقعد خلينا نعرف نتكلم.
- جلس شاعراً بصعوبة في التنفس ونبض قلبه يتسارع.

- لو ما ابتدئتش تهدي ممكن تجي لك أزمة قلبية... أهدى.
- قولي شفتها امتى وازاي؟
- اتصلوا بي من المستشفى وقالوا لي إن فيه حالة حرجة ومحتاجين أشوفها ضروري... رحنت ولقيت الحالة في شبه غيبوبة، وعرفت أنها جت لهم في المستشفى وقلبها واقف، فعملوا لها إنعاش قلبي ورئوي، ورجعت للحياة تاني، ولما حكيت لي أنت دلوقتي عن مكالمة التليفون، ربطت بين الورق اللي بعته لي وبين حكايته وبين المريضة اللي شفتها ما كانش صعب أني أعرف أنهم حاجة واحدة.
- وتشخيصك إيه للحالة؟
- الحالة متشخصة من زمان ومتشخصة صح... وهي عارفة حالتها، وكتبت عنها بوضوح في الورق اللي سبق وبعته لي أول مرة.
- وأنت عملت لها إيه؟
- ولا حاجة... غيرت لها بعض الأدوية وزودت أدوية تانية.
- وها تخف؟
- دي حاجة بإيد ربنا.
- وده برضه كلام طبيب استشاري وأستاذ في الجامعة؟
- أنا عارف دماغك... بس خد بالك يا بني آدم... العلم مفيش فيه يقين... فيه نظريات واحتمالات.
- قرئت الورق التاني اللي بعته لك؟
- أكيد طبعاً.
- وإيه رأيك؟
- أنا اتأكد لي إن توصيف الحالة بأنها شيزوفرانيا تشخيص غلط زي ما قلت لك المرة اللي فاتت.
- أمال تشخيص الحالة إيه؟

- مرض نادر اسمه متلازمة تعدد الشخصيات Multiple Personality Disorder أو Dissociative Identity Syndrome وبالمناسبة فيه فيلم عالمي مشهور من الأفلام النفسية تناول المرض النفسي ده وفيه حالة تشبه شخصية ماريا أسمه وجوه حواء الثلاثة The Three Faces of Eve.

- يعني إيه؟

- يعني إيه إيه؟ با اقول لك الفيلم ده بيحكي عن متلازمة تعدد الشخصيات.

- وده علاقته إيه بماريا والورق اللي بعته لك؟

- لو فاكرا البطلة في فيلم بئر الحرمان كان بيحصل لها إيه ها تلاقيا بتفصل عن واقعها... الصبح بنت رقيقة... في الليل واحدة لعبيه.

- وده من إيه؟

- نتيجة عقدة نفسية من الطفولة سببها علاقة أبوها بأمها.

- قصدك عقدة الكترا؟

- بالظبط... البنت بتتقرب لأبوها وتحس بالغيرة من أمها لأنها العقبة اللي بتمنعها من الاستحواذ على الأب.

- فهمت... بتتلبس شخصية أمها وتحس ناحيتها بالعداء في نفس الوقت لأنها بتنافسها في حب الأب... فهمتك.

- مصطلح عقدة الكترا بيبين تعلق البنت من غير وعي بأبوها وغيرتها من أمها... ورغم أن فرويد هو صاحب فكرة العقدة بس كارل يونج هو اللي سماها عقدة الكترا... جاب المصطلح من أسطورة الكترا اليونانية.

- ممكن يعني الشخصية اللي في الورق تتحول وتبقى شخصية تانية؟

- هي بتعمل ده بالظبط... وممكن تبقى أكثر من شخصية في أكثر من وقت... وبياكد ده حكايتك عن حالة الطفولة اللي أنت شفت ماريا بتعيشها.

- ساد صمت ثقيل بين الصديقين لا يقطعه إلا صوت رشقات القهوة... نهض أحمد فجأة ليغادر فأمسك بيده كمال قائلاً:
- أنت مالك؟ فيك إيه؟
  - مش عارف يا كمال... مخنوق.
  - اتضايقت أني عرفتها؟
  - مش عارف.
  - حاسس أنك عريان؟
  - أرجوك... كفاية كده... ها اتصل ببيك لما أكون في مود أحسن من كده... سامحني دلوقتي... عايز أكون لوحدي.
  - أوكي... مع السلامة... بس أرجوك طمني عليك.
  - حاضر.
  - وعد؟
  - وعد.

\*\*\*\*\*

- مضت الأيام موحشة يغالب فيها اضطرابه الذي تحول إلى ارتباك في النوم، والعادات الغذائية، وفقدان ملفت لعنايته بأناقته التي هي محط إعجاب زميلات والطالبات، وحسد الزملاء، وسخرية الطلاب.
- انتبه في ليلة من ليالات أرقه ألممض على صوت هاتفه، فلمعت عيناه، وانتشت روحه حين شاهد اسم ماريما، وحين فتح الاتصال جاءه صوتها واهناً:
- ازيك يا أحمد... ما بتتصلش ليه؟
  - مش عارف.
  - مش عارف إيه؟
  - مش عارف ليه مش باتصل.

- طيب... ها ابقى أنا اللي ها اتصل بيك.
- جميل.
- أنت اللي جميل بجد.
- مش عارف أقول لك إيه... خدي بالك من صحتك أرجوكي.
- حاضر بالمناسبة أنا ها اخرج من المستشفى النهارده.
- صحيح... ألف حمد الله ع السلامة.
- تسلم... أشوفك على خير... الممرضة جايه الظاهر علشان إجراءات الخروج... باي دلوقتي.
- مع ألف سلامة

انتهت المكالمة، فأحس بنشوة ونشاط غير عاديين، وشعر بجوع ونهم شديدين، فقرر أن يكافئ نفسه بأكلة سمك شهية... نهض نشيطاً وارتدى ثياب الخروج واتجه لجرار العمارة، وأخذ سيارته، ومضى إلى مطعم سمك شهير.

\*\*\*\*\*

صار يتلقى مكالمة يومية أو أكثر من ماريا حتى أصبح حديثها آلة زمن، تعيد له ذكريات طفولة وشباب أول حين كان يسمع خالاته وعماته وأمه يتحدثن دون حساسية ولا خجل عن كل الأشياء بمسمياتها - التي أصبحت مستهجنة الآن - فقد كن يعتبرن الصدق في القول موضوعاً غير قابل للنقاش، وادعاء الاحتشام نوعاً غيبياً من أنواع الكذب والنفاق.

أصبح مزاجه مرتبطاً بسماع صوتها، تحدثه عن أي شيء وكل شيء، فإذا تأخر اتصالها توتر وأصابه غم، ليصبح ودوداً نشطاً بعد أن تتصل به لتحدثه عن أطفالها، وجيرانها، وما تعده من طعام، وحين تعود لأحداث عمرها الأولى، لتحكي ما هو طبيعي وما هو مدعاة للخجل دون أن تتوارى وراء أخلاق الطبقة المتوسطة الزائفة...

يبشره رنين هاتفه بيوم رائع صاف حين يوقظه مصحوباً بصورتها عندما تجد وقتاً في الصباح بعد ذهاب أولادها للمدارس وزوجها للعمل.

تعود على لقاءها تنتظره عند سيارته في موعد انتهاء عمله، ليصطحبها ويجلسا في ذات المكان الذي جلسا فيه معاً أول مرة؛ حيث تستطرد في حديث طويل عن أي شيء، وكل شيء وهو يستمتع باندهاش من نفسه هو الذي لم يكن أصعب عليه من الاستماع لحديث غير ذي هدف أو منطق.

أصبح الاستماع إلى صوتها في التليفون ولقاءها كل فترة وقوداً لروحه، وأصبحت هواءً يتنفسه، ويختنق حين يغيب.

\*\*\*\*\*

كان مشغولاً في مكتبه بمراجعة رسالة دكتوراه لأحد طلابه حين فُتح الباب، فرفع رأسه غاضباً من هذا الذي اخترق خلوته بلا استئذان، لتصافحه بسمتها المميزة وهي تلقي عليه تحية الصباح، وتمد يدها له بورقة وحيدة قائلة له أنها انتهت من كتابتها صباح اليوم، مضيفة بضحكة خافتة أنها صنفت نوع النص لتثبت له أنها طالبة ذكية... وضعت الورقة على مكتبه، واستدارت مغادرة، تاركة عبير عطرها المميز يملأ الجو، فترك ما بيده وأمسك الورقة، وأخذ في قراءتها.

\*\*\*\*\*

هي وهو والبحر

قصّة قصيرة جداً

بقلم: ماريا القبطية

قالت وعيناها مصوبتان لعينيه:

- أترافقني؟

أجابها:

- نعم.

- دون أن تعرف إلى أين؟

- دون قيد أو شرط.

ابتسمت وقالت:

- ألا تخشى الغرق، أو الاحتراق، أو أن تهوي؟

- مناي غرقى في أمواج روحك، واحتراقى بشهب عشقك، والصحو محترقاً بحبك.

دفعتها روحها العابثة للسؤال:

- وماذا لو ضاع منا الدرب يوماً؟

- ننحطُ درباً آخراً فأنتِ قبّلتى.

تهادى إليها الحلم بساطاً موشى بترانيم الرّوح، فلم تتردّد، ورتّل قلبها "اليوم تمّت

نعمتى ورضيتُ بالعشق ديناً." وبادرتة:

- أحملنى نجتاز البحرَ فقد سئمتُ حياتى.

- أنا مجدافك.

- لا صبر لى على حياة هي موت بلا دهشة.

- وأنا لا حياة لى دون جذوة عشقك.

- فلنكن لى.

- كوني قمري الذي لا يغيب.
- أنهكتني الأعاصير بين جوانحي، فكن بحري الذي لا يغدر.
- سئمتُ غربتي، ويغتالني خرسي.
- أسمع داخلك سهيل نرف رُوح لا تكف عن الصراخ.
- ماذا أنتظر؟
- أن نرحل... سيهدينا البحر فرحاً، يجعلك ملكي المتوج وأنا ملكتك المطيعة.
- سأعبر البحر، واسري معك لسماوات حب وعشق لازوردي... ألسنتُ حبيبي؟
- لم تنتظر ردًا وجذبتَه إليها وغابا في اليَمِّ.

\*\*\*\*\*

وجد نفسه يتنفس بصعوبة ما أن أنهى قراءة النص، وأحس بالعرق يتفصد من جبينه، وحرارة جسده ترتفع رغم برودة الجو... فك بطة العنق، وتنفس بعمق، وقرع الجرس فجاءه الساعي فطلب منه أن يعد له كوباً كبيراً من القهوة بلا سكر، واسند ذراعيه على ذراعي المقعد حين خرج الساعي، وألقى بثقل ظهره للوراء وأغمض عينيه محاولاً استعادة اتزانهِ... لم يشعر بالساعي يطرق الباب، ويدخل، ليضع كوب القهوة، ويغادر في هدوء من يعرف طباع رئيسه.

نبهته رائحة القهوة فابتسم، ومد يده للكوب، وأخذ يرتشف منه بتلذذ وعقله موزع بين ما قرأه من أقصوصة ماريا، وبين ما يراجعُه من أوراق الدراسة العلمية... بذل مجهوداً كبيراً للتركيز، ونجح بالفعل وانشغل بالعمل حتى أنجز الجزء الذي كان قد قرر الانتهاء منه اليوم، ونهض من على مكتبه، واستدعى الساعي لإغلاق المكتب بعد تنظيفه، ومضى لموقف سيارته، ليجدها بانتظاره... ابتسم وهو يفتح لها باب السيارة، وتوجه بها دون كلمة حيث تعودا الجلوس على الشاطئ؛ غير عابئين برياح الشتاء أو برودة الطقس.



غاب عنها غياباً طويلاً هي تعلم جيداً أنها سببه، وأنها هي بنفسها من رغبته عنها، وأبعدته فحرمت نفسها؛ لكنها لم تملك لا رغبة ولا شجاعة الاعتراف بالخطأ، وكان لديها لكل سؤال جواب، ولكل فعل تبرير، ولم يسعها مع العناد سوى أن تتطوي على نفسها حتى جفت روحها، وذبلت.

احتضنته بلا تردد يوم عاد، ونست بكل صدق أيام الغياب، وذابت فيه، وأشرعت له كل أبوابها بسماحة وحب حين احتواها.

انتشت وأخذت في لعنه فابتسم... بدأت تلومه، وتتفي عن نفسها فعلها، فتجمد، وشعرت به في أحضانها يبتعد، والنسغ الذي سرى بوجوده في عودها ينسحب، فشحبت وجمد الدم في عروقها، وتوقف الزمن وسكن البدنان.

ضربتها صاعقة الوعي لثانية، فأحست بفارق الجفاء والجفاف عن الرواء والبهاء، ونادتها الحياة أن تنكر النكران، فبكت واعترفت له، وعاد الإيقاع بينهما، وارتفع النسغ في عروقها، وانتشت بالرواء.

\*\*\*\*\*

رد قائلاً:

جلسا يتعاتبان وقد أنهكته بغيرتها... حين قال لها "أحبك ولا أريد غيرك." ردت

قائلة:

حب بلا غيره يفقد لذته.

رد عليها قائلاً:

الغيرة نار تحرقنا كلانا.

هي نار موقدة وما ادراك بلهيبها تشتعل في قلب كل أنثى عاشقة.

تحولها لنمرة مفترسة في مشاعرها... متوحشة في عواطفها وحبها.

هي سلاحها للحفاظ على رجل صار فيها... يمرح بين كريات دمها.

غيرتك تتخطى الغيرة فتحاصرني في كل أمر.

هذه الأنثى ذاتها التي تغار عليك... تعشقك ومستعدة أن تخسف الأرض بك  
أيها الرجل إذا ما شمت رائحة خيانة في كيانك الذي تعبهه.  
لكني أحبك وغيرتي عليك لا تشبه غيرتك عليّ، ولا تسجنك كما تسجنني  
غيرتك.

غيرتي دافعي للارتباط بك، وبدونها أفقد وجودي كامرأة.  
لكن غيرتك لا تقتصر على بنات جنسك بل تتعداهم لتحاصرني.  
نعم... فغيرتي تجعلني قادرة أن أكفر بك لحظة اتقين أنك لست نجماً يدور في  
فلكي.

ثقي بي فأنا أحبك ولا أريد غيرك.  
ابتسمت في رضا وأشاحت بوجهها عنه، ومضت بعيداً تتبختر في دلال أوجع  
قلبه المتيم.

\*\*\*\*\*

كتبت ماريا:

كلما احرقني حرف من شففتيك صرت رماداً حتى يأتيني حرف آخر من عينيك  
فيحييني من جديد... تتسارع حروف جسدي تهطل على جسدي مطراً، يُخصب عطش  
أرضي... ينتصب حبي تاجاً على مفرقك... تتسطر النشوة عقداً على صدري فأصبح  
أجمل... تعيد حروفك إحراقي في أتونك السرمدية، فلا ينتهي موتي ولا بعثي.

\*\*\*\*\*

رد قائلاً:

أحلم فأظن أنني أعط في نومي وأنا مستيقظٌ يراودني ما يرى النائم... كلهم حولي  
نيام يظنون أنفسهم يقظي!  
كيف ناموا؟  
لم لا يارقون؟



الاتجاهات، وحاصرتني الجبال، وصرتُ حماماً زاجلاً تاه عن دربه، فرجعت ركضاً وأنا غريبة مختلفة، وقطعت آخر حبل يصلاني بالغبية... عدت للشاطئ الذي أعرف، وصرت سمكة متعبة في أحضان الموج، ولم أعرف للراحة معنى إلا في شباكك.

\*\*\*\*\*

رد قائلاً:

يعرف البحر كم مر بالمدن والواحات وهو يربت على سيقان المنازل قبل أن يصل، ولا ينسى أولئك الذين غاصوا في طهره، ولبسوا ثياباً تُشبه نقاءه، ولم ينس النهر رفيق العمر الذي خانته الرفاق، وأرضاً تخضر حين تلمسها أنامله، وعصاه التي تتحول شجراً كلما ألقى بها؛ حيث كفرت - كما كفر - بالعصي التي تلقف ما يصنع، ويتذكر إذ هو يسعى وطناً للشهد مذاقه، فيصرخ صرخة تنشق لها السماوات؛ لكن الرفاق صموا، ولم يسمع صرخته بشر.

\*\*\*\*\*

استيقظ متكاسلاً صباح الجمعة، وارتدى ثيابه، وشرع في الخروج فإذا بطرقات خافتة على الباب... فتح متباطئاً، وفوجئ بما رآه تندفع إلى داخل الشقة، وقف بلا حركة، بينما قالت بصوت متهدج:

- اقف الباب من فضلك.

تعثرت الكلمات فغمغم...

- أهلاً وسهلاً.

كررت كمن على رقبتها سكين :

- اقف الباب من فضلك.

جلست، فاستجمع نفسه وأغلق الباب وهو يقول:

- خير؟ إيه الحكاية يا ماريًا؟

- تنهدت وبدلاً من أن تجيب ابتسمت ابتسامتها الساحرة... كان مدخل الشقة معتماً، مد إصبعه وأضاء النور لكنها شهقت مع سطوع الضوء:
- لا اظفي النور من فضلك.
  - مش معقول أسيبك تقعدني في الضلمة.
  - ضحكت بدلال وهي تقول:
  - أنا أحبها.
  - فعبق وهو يجلس بالقرب منها على حذر:
  - ده فرق بيننا يا ماريا.
  - مالت وهمست:
  - الموت بس هو اللي يفرق بيننا.
  - فنأى عنها قائلاً:
  - حصل إيه؟ النهار ده الجمعة وجوزك في البيت... سبتي البيت ليه؟
  - تجهمت وردت...
  - انساه... إنس أن لى راجل.
  - إن كنت مش بتحبيه... اتجوزت ليه؟
  - فانتفضت قائلة بحسم:
  - ما تسألش... وعلى العموم لو أنت متضايق... امشي.
  - بطلي جنان أرجوكي... أنا عايز اطمئن بس.
  - هو أخذ الولاد للقداس يوم الجمعة وأنا قعدت وحدي في البيت... زهقت...
  - قلت آجي لك.
  - أهلاً وسهلاً.
  - مش باين... أنا ماشية.

- يعني إيه ماشية؟ اعقلي.

- خليك أنت في عقلك وسيب لي جناني... سلام.

نهضت، وتوجهت لباب الشقة، وفتحته، وخرجت في لمح البرق حتى أنه شك في أنها كانت تزوره وغادرت... أحس بارتباك لم يعتده، فارتدى على أحد المقاعد، ووضع رأسه بين كفيه، ثم نهض من مكانه واتجه لمكتبه وفتح الكمبيوتر وكتب لها...

\*\*\*\*\*

" حبيبتي ماريا... "

ليس من مبرر لعصبيتك لمجرد أنني توجهت لك بسؤال لم يكن الغرض من وراءه أي شيء يمسك، فأنا أموت ولا أتسبب في تجريحك... فقط حاولت فتح موضوع يشكل وجعاً ضاعطاً على روحي، يجعلني غير قادر على الفهم أو التفسير.

أعرف أنك تحبيني مثل حبي لك، وأتفهم أن ظروفك أصعب من ظروفي لذلك سألتك بحسن نية، وأذكرك بكلمات قلتها أنت، وقبلتها أنا برحابة صدر، ولم أغضب؛ حين قلت لي أن حياتي أقصر من عمرك، وكررتها ضاحكة أكثر من مرة رغم معرفتك أن لا أحد يحب فكرة موته لأنني فسرتك بحسن نية.

ما دفعني للسؤال كلمة قلتها، وبقيت محفورة في قلبي وعقلي حين عاتبنتي مرة ولقلت "لفظ ما يتقلش بين زوجين يحترموا بعض نهائي!" يعني يا بنت قلبي عقلك الباطن يعتبرني زوجك.

صديقني وأقسم بشرفي وماريا ما كان قصدي من قريب أو بعيد مس مشاعرك أو الاقتراب من كبرياءك؛ لكن فجرت لحظة وجع سؤلاً، فسرتة خطأً ففجر بركان غضب... أفعلي ما يعجبك فأنا أحبك، وسأبقى."

\*\*\*\*\*

استيقظت مبكرة في صباح جمعة مشمس من أيام الشتوية التي تدغدغ الشمس فيها جباه المدينة البحر، ففتحت نوافذ البيت لتسمح بالهواء والنور أن يلجا للبيت، وصنعت لنفسها كوباً من القهوة، توجهت به حيث التليفون الأرضي، واتصلت بابنتها ماريا، وسألته إن كانت ستحضر قداس الجمعة، وانفتحت أن تتقابلا في الكاتدرائية المرقسية لأنها تود الحديث معها في أمر يشغل بالها.

تقابلتا في مواجهة ناصية شارع سيزوستريس أمام باب الكاتدرائية حيث جرى الطفلان لجدتهما وقبلها بينما تبادلت الأم والابنة سلاماً دبلوماسياً يخلو من الحرارة، وولجا الباب الخارجي للمبنى، واتجهوا جميعاً للكنيسة، واتخذوا أماكنهم يستمعون للعبادة، وحين انتهت، ذهبوا جميعاً للتناول.

سألت ماريا أمها أين تود الجلوس، فتركت لها حرية الاختيار، فاختارت أن يجلسوا في كافيتريا قريبة بها واجهة زجاجية وتقع بدور أول من مجمع تجاري تمكن الأطفال من مراقبة الشارع مما يترك لهما حرية الحوار بدون إزعاج.

دخلوا الكافيتريا، وطلبت الجدة للطفلين شراب الكاكاو الساخن وبعض الحلويات، وطلبت لنفسها قهوة تركية بينما طلبت ماريا قهوة سبرسو مزدوجة وتوجهت لأمها تسألها:

- خير؟ قلتي عايزاني.
- خير بالتأكيد.
- اللي هو؟
- مالك يا بت؟ شو كك واقف ليه؟
- فيه حد من أخواتي حصل له حاجة؟
- لا... الاتنين كويسين ومطلعين عيوني.
- أمال عايزاني في إيه؟ اللهم اجعله خير.

- مزعله جوزك ليه؟
- آآآآآآآآآآ... هو كلمك؟
- ردي عليّ... مزعلاه ليه؟
- أنا أزعله؟ ده يزعل الدنيا بحالها... ده مزعل الناسوت واللاهوت.
- ردي عليّ بكلام يتفهم وبلاش الاستهبال بتاعك ده... أحنا مش جداد على بعض... أنا حافظاكي يا بنت بطني.
- وأنا مذاكراكي وحافظاكي يا أمي... قال لك إيه الراجل اللي ما بيختشيش ده؟
- أنك معصيه عليه.
- يعني إيه معصيه؟ ما هو بياكل زي الحلوف، ويقلّع وسخ ويلبس نضيف، وبينام زي البغل وكل حاجاته مقضية... عايش كأنه في لوكاندة ومطعم ومش بيدفع مليم.
- ما تلفيش وتدوري... أنت فاهمة أنا با اتكلم على إيه.
- طبعا فاهمة.
- طيب ليه بتعملي كده؟
- من غير ليه... مش أنت بتحبي عبد الوهاب؟
- بظلي لف ودوران... ليه مش تدي الراجل حقه؟
- حقه! كسر حقه... قرفت... قرفت أكون مبولة لخنزير... فهمتي؟
- بس ده حقه يا بنتي.
- آآآآآ... بنتي... أنا با اقلق قوي من طقم الحنيه اللي بيتدي ببنتي.
- فيه راجل تاني؟
- بتقولي إيه؟
- أنت سمعتيني كويس.

- لا تاني ولا تالت... با اقول لك قرفت... ولد... هات أحتك علشان نروح... وأنت إنسيني ينساكي الشر... أنسي إن لك بنت اسمها ماريا علشان أنت لما بتفتكريها بيكون لك غرض تاني خالص غير مصلحتها... سعيدة يا... أمي.

أمسكت بطفليها، وهبطت سلم الكافتيريا، تكاد لا ترى موقع قدميها وحين وصلت للشارع، أشارت لأول سيارة أجرة قابلتها، وعادت وطفليها للبيت تغلي غضباً، واتصلت بأحمد وحددت معه موعداً للقاء.

\*\*\*\*\*

وجدته جالساً في مقعد قريب من رمال الشاطئ، فأشارت للطفلين عليه فركضا نحوه ليستقبلهما ببسمة أشرق بها وجهه وهو يقبلهما، وينهض لاستقبالها... أشارت للطفلين أن يلعبا على رمال الشاطئ بالقرب منها، وجلست وطلبت من أحمد أن يطلب لها قهوة فأشار للنادل الذي طلبت منه حين حضر تريل سبرسو... نظر إليها أحمد وقد استشعر توترها فقال:

- خير يا ماريا؟ مالك حبيبتى؟
- عايزه منك خدمة.
- أنت تأمري... إيه هي الخدمة دي؟
- عايزاك تساعدني أسلم؟
- أساعدك إيه؟
- عايز استسلم... يعني ابقى مسلمة.
- أنت أكيد بتهزري.
- لا... مش بهزر... با اتكلم جد... وجد جداً كمان.
- أرجوكي تهدي وتفهميني بالراحة لأنني مش قادر استوعب.
- أنت ما يهملكش أني أكون مسلمة؟
- سؤال مش في محله... وعلى العموم مسألة مسلمة أو لا دي تخصك أنت.

- شوف يا أحمد... أنا تعبت... تعبت قوي ومش قادرة استحمل.
- تعبتي من إيه تحديداً؟
- من الحلوف اللي أنا عايشه معاه... فهمت؟
- قصدك جوزك؟
- نعم... هو الزفت ده... عايزه أخلص منه وما حدش ها يساعدني غيرك.
- أنت عارفة كويس أنني منحاز لك بس انحيازي ده المفروض يكون لصالحك مش ضدك... يعني لازم يحكمه العقل.
- يوووووه... يعني مش عايز تساعدني... براحتك أنا ها احلها بطريقة تانية... أنا ها أغير ملتي... وشكراً يا دكتور... ولد... هات أختك ياللا... مشينا... سلام يا دكتور.

أمسكت بطفليها، وغادرت غاضبة، وتركته عاجزاً عن الكلام أو الحركة.

\*\*\*\*\*

أمضى أياماً عديدة متوتراً، تصاحبها ليلات أرق ممض، يفكر ماذا يفعل ولا يكاد يصل لقرار... كان متأكداً من غضبها منه، وشعورها بأنه خذلها وهو الوحيد الذي فكرت أن تمتد لها يده تساعد... مضت الأيام ثقيلة وهو يحاول أن يجد حلاً يساعدها دون أن تضطر لاتخاذ قرار يصنع من المشاكل أكثر مما يقدم من حلول... فجأة برق في ذهنه خاطر، فأمسك هاتفه الجوال وأرسل لها رسالة مختصرة: "أرجو الاتصال للأهمية القصوى".

جاءه رنين التليفون فوراً، فقال لها بلا مقدمات:

"حددي موعد... لا بد منقابل... ضروري... عندي كلام غاية في الأهمية."

\*\*\*\*\*

التفته بوجه مكفهر وملامح غاضبة وقابلها بهدوء استنفرها فقالت:

وسيادتك عايز تشوفني ليه؟

- تشربي إيه؟
- أنا مش جايه أشرب... أنا عايزه أعرف أنت عايز تشوفني ليه؟
- برضه تشربي إيه؟
- أشرب أي حاجه... أي زفت.
- أشار للنادل أن يحضر لها عصير البرتقال، ثم التفت لها قائلاً وهو يرتشف من فنجان قهوته بهدوء:
- أنا عندي حل لمشاكلك كلها لو وافقتي عليه.
- يااااه... مشاكلي كلها مره واحدة؟
- لو مش عايزه تسمعيني وفري كلامك وقولي وأنا أوصلك بيتك وأريحك مني ومن كلامي اللي مش عاجبك.
- يااااه... ده أنت حامي قوي النهارده... لأ... ها اسمعك.
- شوفي مطلوب منك شيء محدد وبسيط وأنا ها اعمل الباقي.
- وإيه المطلوب مني؟
- عملي شهادة من الكلية بالمواد اللي درستتها في الماستر، ولو واجهتك أي صعوبات مع الإدارة قولي لي وأنا ها أسهلها لك.
- وها أعمل إيه بالشهادة دي؟ وها تحل مشاكلي كلها ازاي؟
- بعد ماتعملي الشهادة ها تحببها لي، ها أعمل لها ترجمة مبدئية، وها تروحي بيها لمكتب ترجمة معتمد ها أقول لك عليه ها تروح لهم ها يعملوا لك ترجمة معتمدة بناءً على الترجمة المبدئية اللي ها اعملها... هما يعرفوني وبينهم تعاملات يعني مش ها يتعبوكي، والمصاريف كلها أنا ها احملها.
- وتعب القلب ده كله ليه؟
- مش أنت عايزه تخلصي من مشاكلك الاجتماعية؟
- أيوه... وقلت لك أنا ها اعمل ده ازاي.

- يا ماريا أنك تسلمي أو تغيري الملة ده تصرف سهل لكنه غير مسئول... نتائج التصرف ده ها تدفعي تمنها أنت وولادك وأهلك كلهم.
- إياكشي يولعوا.
- أنا ها أقدم لك حل سهل يحقق لك اللي أنت عايزاه ومفيش من وراه المشاكل الكبيرة اللي ها تحصل من تغيير الدين أو الملة.
- وايه هو الحل ده؟
- ها أجيب لك منحة دراسية في السوربون تكلمي الماستر وها أجيب لك فيزا أنت وولادك لفرنسا.
- فرنسا! بجد؟
- أيوه... وها أسافر معاكي وارتب لك أمورك علشان تستقري هناك.
- بس أنا ما عنديش فلوس للمسألة دي.
- ما تقلقيش... أنا ها اتحمل كل التكاليف لحد ما تستقر أمورك هناك.
- وأنت ذنبك إيه؟
- مش مسألة ذنب... وعلى العموم اعتبري الفلوس دي سلف وابقى رديها وقت ما تقدري.
- يعني أبدأ في إجراءات الشهادة المطلوبة بالمواد اللي درستها.
- بالظبط... وتجيبها لي وأنا ها أعمل لها ترجمة مبدئية وأبعثها لمكتب ترجمة معتمد، وأصدق لك الترجمة من الكلية وبعدين أنت تصدقها من الخارجية وأنا ها اتكفل بإجراءات التصديق عليها من السفارة.
- أنا مش مصدقة.
- لا... صدقي... كمان لازم تعملي باسبور ليكي وللولاك وتجيبه لي علشان آخذ لك الفيزا عليه.
- وها تقدر تاخذ فيزا لفرنسا؟



بالحديث مع زوج ماريا الذي أبدى امتعاضه من زوجته دون أن تجني الأم أية فائدة من الحديث معه.

استكشفت ما يعرفها ابنها الكبير الذي أثبت لها أنه لاه عن كل ما لا يخصه أو يحقق له فائدة، فلعنته بداخلها، ووجهت جهدها لابنها الأصغر، وقررت ألا تكون مباشرة معه، فأخذت تبحث عن أفعال ماريا ومعارفها المحيطين بها مستفيدة من العلاقة القوية بين هذا الابن الصغير وأخته ماريا.

لم تُنتج محاولات الأم مع ابنها الكثير من الفائدة؛ لكن كلامها معه لفت انتباهها للزائر المثير للريبة لماريا في المستشفى، وأخذ عقلها يأخذها ويردها في متاهات من الأفكار التي تجدها منطقية؛ لكن يعود عقلها لرفضها.

ظلت الأم قلقة متوترة عاجزة عن اتخاذ أي إجراء أو قرار تسيطر به على ابنتها وأفعالها التي تراها مريبة، وتواصلت مع أب العماد لماريا الأب سيداروس المتوحد لما تعرفه من علاقة ماريا به، وحبها له الذي لم يفدها بكلمة واحدة تهدئ من ثورة شكها وقلقها بسبب سلوك ابنتها المتراوح بين عصيان الزوج من جهة، والبهجة والحركة الفائقة رغم المرض.

جاءها الجواب بلا مقدمات أو توقع حين جاءتها ماريا فرحة تخبرها أنها حصلت على منحة دراسية لإكمال الماجستير والدكتوراه في السوربون بفرنسا.

أصابت الأم صاعقة، وأشارت قرون الاستشعار في عقلها لهذا الزائر المريب أثناء مرض ماريا، فسألته ومن أين أتت بهذه المنحة التي لا يحصل عليها إلا أقل القليل وبمشقة بالغة، وتأكدت ظنونها حين أخذت ماريا تسهب في شرح الجهود الجبارة التي بذلها صديق أبيها وجارهم القديم الدكتور أحمد، وأحست بغريزتها أن هناك علاقة ما بين ماريا وهذا الجار القديم، وأن هذه العلاقة من العمق بحيث تهدد سمعة الأسرة، وتوحي بخراب بيت ماريا، فقررت أن تستخدم كل ما لديها من قدرات وعلاقات، لكبح جماح هذه الابنة المارقة فاقدة العقل كما تراها.

\*\*\*\*\*

فوجئت ماريا ذات صباح وهي تستعد للخروج بجرس بابها یرن، وحين فتحت الباب، فوجئت بأمرها وأخويها والأب سیداروس المتوحد، وإذا بزوجهما یرجحاً بهما، ويعطي الطفلین مصروفهما ويصرفهما للذهاب للمدرسة.

تبین لماريا أن هناك اتفاقاً بین كل هؤلاء على شيء ما... أكدت لها مشاعرها أنه شيء لا یمت للبهجة بصلة، وأنه أمر دبر لیل، فقالت ببرود:  
- تشربوا إيه؟

ابتسم لها الأب سیداروس المتوحد وهو یقول لها أنهم جاءوا لأمر بسيط سینجزونه بسرعة، لتمضي هي وزوجهما للعمل، وطلب منها الجلوس، وأخذ یمدح فيها وفي روحها المحبة التي تمثل جوهر العقيدة الإيمانية المسيحية، وأن من هي مثلها یمتدح أن تكون سبباً في إیذاء أو إیلام أي إنسان قريباً كان أو غريباً... وأنها كأم مسيحية عليها واجبات أقرها الرب، وقبلت بها يوم وافقت أن تكون شریكة زوجها في حياته برباط أحکم المسيح وثاقه، وأن هذا الرباط لا یحق لبشر حله إلا من یرجح عن العقيدة.

تساءلت ماريا عن سبب كلام الأب سیداروس المتوحد، فقال لها أنها اتخذت قراراً سیهدم بیت من بیوت المسيح لو سافرت فرنسا كما علم من أمها. نظرت ماريا لزوجها فوجدته صامتاً یمتدح على غير عادته، ولمعت في عينيها الدموع وهي تسأل الأب سیداروس المتوحد إن كان سعيها لأن تكون إنسانة أفضل وأكثر علماً یغضب المسيح؟ فردت الأم أن خراب البيوت هو ما لا یرضاه الرب، ولا من یرعاهم من بشر عقلاء.

كاد عقل ماريا أن ینفجر، وهي تواجه فیضاناً من الضغوط سواء من أمها والأب سیداروس المتوحد وحتى أخويها اللذان انضما لما اعتبرته ماريا فرقة تدمير ما بقى من

حياتها... بكت... صرخت... ارتمت على الأرض بلا جدوى إلا من يد أخيها الصغير  
يقيمها، ويساعدها على الجلوس، ويمسح دموعها بمنديل ورقي.

استجمعت ماريًا نفسها، وتشجعت لمواجهة هذا الجمع، وقالت في هدوء أن  
لاشيء سيمنعها عن السفر، وأن هذه حياتها ومستقبلها، وأن هذا السفر سيصنع  
للطفلين مستقبلاً يستحيل أن يحصل عليه في مصر.

نهض زوجها في هدوء قاتل قائلاً:

- سافري... ألف سلامة... بس لوحدك... مفيش عيال.

صدمتها الكلمات، ونظرت لأمها التي قالت لها أن ذلك حقه... أخذتها رعشة،  
وبدأ جسدها في التشنج، وأغمى عليها، وبدأت نوبة مرضية جعلتهم يحملونها فوراً  
للمستشفى.

\*\*\*\*\*

هبط أحمد من سيارة صديقه الدكتور كمال عواض في ساحة الانتظار الذي ساعده في وضع حقيبته على أحد تروليّات المطار، وسارا نحو المدخل وهو يسمح المكان بعينه بحثاً عنها هي وطفليها حتى وقعت عيناه عليها محاطة بأبوابها وأخيها ماهر ممسكة بطفليه وما أن رآته حتى أفلتت ابنتها من يدها وهي تشير نحوه، فركضت الطفلة إليه ضاحكة وسلمت عليه وأعطته ورقة، وعادت راكضة لأبوابها... حين دقق النظر رأى الدموع معلقة في عيونها، وأشارت بيدها إشارة خفية مغزاهما... اذهب.

توجه وصديقه لبوابة دخول المطار، وسأل صديقه عن أحد كبار رجال الأمن في المطار مخبراً أمين الشرطة أنه في انتظارهما، فاتصل الأمين وتلقى الأمر بالسماح لهما... كلف الأمين أحد المجندين لاصطحابهما للباشا الذي قابلهما هاشاً باشاً، واصطحبهما لصالة كبار الزوار، وأمر لهما بالضيافة الواجبة، واعتذر عن البقاء معهما بسبب ظروف العمل على أن يتصل به كمال لو واجهتهما أية مشكلة في الإجراءات، وغادر.

فتح أحمد الورقة المطوية وأخذ في قراءتها، فلاحظ كمال شحوب وجهه لكنه لم يعلق وانتظر حتى انتهى من القراءة وسأله عما بها فأعطاه إياها صامتاً وجلس يحدق في اللا شيء... أخذ كمال يقرأ...

\*\*\*\*\*

حبيبي أحمد

أرجوك قبل كل شيء أن تعذر ارتباككي، وعدم اتساق أفكارني، فأنا أمر بحالة من التشويش، وعدم التركيز، لم أعرفها في حياتي من قبل.

تذكرني، ولا تنسى أنني لم أحب سواك؛ لكن دوامة الحياة القاسية دارت بنا لتلقي بكل منا وحيداً بدلاً من أن تجمعنا... هو قدر شرس فرض على كل منا غريبته واغترابه وحيداً في الوطن وخارجه، لنعيش دياسابورا لا تقل قسوة عن الجحيم.  
أعرف أنني خذلتك، لكنني أريدك أن تعرف أنني خذلت نفسي قبل أن أخذك، ولم أخذك وإن خنت ذاتي.

ربما تسببت لك في بعض الخسارة؛ لكنني خسرت كل شيء، ومعنى كل الأشياء - بما في ذلك ذاتي وروحي - حين وضعتني ظروفني بين حجري رحي اختيار لم أتعرض لأقصى منه، فأجبرت أن اصطفي أبنائي بديلاً عني... وما أقساه من اختيار لأرواحك بدلاً من روحك.

لقد أصبح المستقبل إعادة لماضي... صار صعباً... مستحيلاً.  
لا أحد يريد لهذه العلاقة وجود وكلما حاولت إحيائها وجدت عدواً يحاربها... عدو أرسله القدر ليكون حائلاً بيننا بعد أن كنا معاً دون حاجز أو مانع نلتقي متى نشاء... نفعل ما نشاء دون خشية من أحد أو شيء... عالمنا حر كعالم طيور لا يتوقف تغريدها فصرنا أسرى أفاص تسجنها عن سماءها... فتوقفنا عن الغناء والرقص، وصرنا سجناء واقع مريع سرق منا أجمل ما لدينا... لطلما كتبنا سوياً، فكنا حين نكتب نتحرر من واقعنا... نلحق في سماء المعاني لا يهم زمان ولا مكان... لا نحس بالساعات تمر ونحن روح واحد لا ينتهي عطائها... تكبر طموحاتنا وتشرئب أعناقنا ناظرة في لهفة نحو الغد.

قلبي المسافر بلا زاد ولا متاع... فليكن زادك حبي الذي لم ولن ينقطع، وليبقى حبك لي متاعك الذي يدفئ قلبك الطاهر... سامحني واغفر لي فأنت حبي الوحيد،

وخطيئتي التي لن أسعى لغفرانها لأنها أظهر خطاياي وأنبأها... أذهب بعيداً في  
البياض، وحلق في سماوات صفاء، واذكرني بغفران فأنا لم أتركك؛ بل غادرت نفسي  
والحياة... ربما على أمل لقاء، لا تحجبه شروط ظالمة، تدعي الطهر وهي الأنجس،  
وترتدي ثوباً تظنه نقاء وهو الأكثر دنساً... ربما لو كان هناك عالم آخر يسمح لنا بهذا  
اللقاء... لقاء يدعني أضع رأسي على صدرك وأبكي بحرّية وأصارحك... كم  
تمنيتك في زمن المستحيل! أذهب بعيداً في البياض، وليصل قلبك لماريا التي أحببتك  
كما لم تحب، وغادرت روحها يوم أجبرت أن تغادرك.

\*\*\*\*\*

اعتدل الدكتور كمال عواض في مقعده وتنفس بعمق وهو يغالب شعوراً عميقاً بالأسى،  
اختلط براحة استنكر شعوره بها ولم يستنكرها، فقد أرقته هذه العلاقة وتطوراتها التي حاول  
أن يخضعها لخبرته المهنية، ومفاهيمه الثقافية، وحبه لصديق عمره لكنه ظل رغم ذلك  
يشعر بقلق وتوتر لم يمكنه السيطرة عليهما... أصابته رعدة حين نظر لوجه صديقه  
فوجده محتقناً تشوبه زرقة، فمد يده له بكوب الماء لا إرادياً وهو يقول:

- أحمد... اشرب وركز معايا... أرجوك ركز.
- أنا كويس.
- كويس إيه بس... أنت شكلك داخل على مشكلة كبيرة قوي.
- مشكلة إيه بس؟ ما تضخمش الأمور.
- أنا برضه؟ قول لنفسك... أنت داخل على أزمة قلبية أو سكتة دماغية... الموضوع  
جد.
- قلت لك أنا كويس.
- لا... مش كويس... وبعدين أحمد ربك إن الأمور انتهت على كده.
- أنت اللي مجد سيدك وبلاش نتكلم في الموضوع.

- لا... ها اتكلم... أنا ساكت طول الوقت اللي فات احتراماً لمشاعرك لكن جه الوقت اللي اقول لك فيه إن ماريا أنقذتك.
- أرجوك يا كمال تسكت... أنا مش ناقص.
- لأ... ناقص تعرف إنك كنت رايح بحياتك في سكة اللي يروح ما يرجعش وإن ماريا انقذتك باختيارها ده... أيوه... أنقذتك.
- أبوس رجلك تسكت يا كمال.
- أنت سارقاك السكينة ومش فاهم إيه اللي كان ممكن يحصل لك... مرض ماريا صعب ومش أي حد يقدر يتعامل معاه... ماريا حررتك.
- أبوس رجلك تسكت.
- لأ مش ها اسكت... أنا عارف قد إيه أنت عنيد... بس المجتمع عندي أكثر منك... لا المسيحيين ها يقبلوا باللي أنت عايزه ولا المسلمين... غير كده فكر في أولادك... ميراث إيه اللي كنت هاتسيبه لهم لو عملت اللي في دماغك؟ ماريا أنقذتك... صدقني... سافر يا أحمد واستجمع نفسك وإرادتك وعيش بقية عمرك وأنت حر مش مقيد بسلاسل حب بدون مستقبل.
- أطلب لي سبرسو تريبل.
- حاضر.
- أشار كمال لنادل وطلب منه القهوة التي طلبها أحمد، وسرعان ما جاءت، فاحتساها أحمد فوراً غير مبال بسخونتها حين سمعا النداء على الطائرة المتجهة لمطار شارل ديغول بباريس، ففتح أحمد حقيبة يده وأخرج بضع أوراق أعطاها لكمال قائلاً:
- ده مقال كنت ناوي أبعته لصاحبنا بهاء في الأهرام ينشره... ممكن توصله له؟ أو ابعته له أنا بالبريد الإلكتروني؟
- هاته... أنا ها ابعته.
- وأنا ها ابعته لك نسخة بالبريد الإلكتروني لو ما قدرتش تنزل القاهرة بسرعة.

- زي ما تحب.

- اقراه وقل لي رأيك... أنت عارف إن رأيك بيهمني.

- حاضر.

جاء أمين للشرطة يصطحبهما لاستكمال إجراءات السفر، وسار كمال مع صديقه حتى باب الممر المؤدي صعود الطائرة، التفت إليه أحمد ومد يده في جيب الجاكت الداخلي، وأخرج جواز سفر وأعطاه لكمال قائلاً:

- ده جواز سفر ماريا وأولادها... عليه فيزا لفرنسا... أرجوك ترجعه لها.

- حاضر يا أحمد... بس أرجوك خد بالك من نفسك.

مضى قدماً وهو ينظر للخلف مودعاً صديق عمره الذي أخذ في النظر إليه يسير متهاكاً، فدمعت عيناه غصباً عنه، وأحس بغصة في حلقه وهو يختفي عن ناظريه، فاستدار ليعود بمعية أمين الشرطة، ذاهباً لشكر صديقه رجل الأمن المهم، وغادر مبنى المطار لموقف السيارات، وقاد سيارته في طريق العودة للمدينة وهو يرى الطريق بالكاد من بين غمامة دموع معلقة بين الحزن في قلبه، والفقد في عقله، شاعراً أن جزءاً منه... ضاع.

أحس كمال بإجهاد يجتاحه، فمضى إلى الاستراحة وطلب قهوة مزدوجة بلا سكر، وفتح الأوراق التي أعطاه إياه صديقه الذي مضى، وأخذ في القراءة حتى أنه لم يشعر بالنادل يضع القهوة على طاولته.

## الخلاص من الأب الفرويدي

بقلم: د. أحمد ...

برولوج

والحرية الحمراء بابّ .: بكل يد مُضرجة يدق

الوليمة الطوطمية

حَكَمَ أبٌ قويّ الجماعة البدائية، واستأثر بكل النساء، وفرض التحريم الجنسي الصارم على ذكور الجماعة كلهم بما فيهم أبنائه ونتيجة للقمع وكبت ميول الأبناء الجنسية، ثار الأبناء على أبيهم وقتلوه، فأحسوا بالندم، وحتى يحافظوا على الأب في داخلهم التهموه، ثم دبّت الفوضى ونشب الصراع بينهم على تركته، فاقتتل الأخوة في غياب سلطة الأب وهيبته وانهار النظام الأبوي.

يُفكك فرويد هذه الأسطورة سيكولوجياً، فيرى أن الأبناء ناصبوا الأب المتسلط الكراهية والعداء نتيجة الحرمان الجنسي الذي فرضه عليهم، ودانوا له في ذات الوقت بالحب والولاء والإعجاب لأنه النموذج والقُدوة التي يطمحون ليصبحوا مثلها، لذلك شعروا بالندم والألم عندما أنهم وجوده نهاية مأساوية بقتله، فمارسوا طقوساً طوطمية تكريماً له ليكفروا عن إحساسهم بالإثم العظيم، وصاغوا نظاماً مقدساً، حرّموا بموجبه على أنفسهم ما كان الأب حرّمه عليهم، فظهر التحريم، والمقدس، والقانون، وتأسست العادات والتقاليد والأعراف لتأصيل كل ذلك، وعرف البشر القيم والنظم الأخلاقية، واختاروا طوطماً (حيوان أو طير) يرمز لروح الأب، قدسوه لدرجة التحريم، فهو تابو القبيلة المقدس الذي لا يجوز قتله، أو صيده، أو أكله؛ مع بعض الاستثناءات تمارس فيها العشيرة طقوساً إباحية، يستباح فيها الطوطم المقدس في مناسبات احتفالية، حيث يُنتهك ويؤكل لحمه المحرم في سياق وظيفي تفرضه طبيعة الحياة وشروطها القاسية.

ويحاول فرويد عبر التحليل العلمي استكشاف الطاقة الرمزية في الخطيئة الأصلية (القتل) والوليمة الطوطمية (أكل الأب) المتحولة إلى هاجس وجودي يقض مضاجع الابن في سعيه للتحرر من التبعات الأخلاقية لهذه الخطيئة والتكفير عنها؛ حيث يرى أن قتل الأب وأكله أسس لحالة تناقض وجداني؛ حين أحس الأبناء القتلة بالذنب الذي تحول لعذاب ضمير، ثم لطقوس اتخذت مع الزمن طابعاً مقدساً، وتحولت إلى أنظمة أخلاقية تحوّل فيها الطوطم الأبوي إلى مقدس ديني، حتى أسس هذا المقدس لاحقاً للعرف، والقانون، والأنا الأعلى الأخلاقي في المجتمع.

### ماذا نجد من أوجه التشابه بين الجماعة البدائية، وثورة 25 يناير؟

يمثل النظام السياسي المصري القديم المعادل الموضوعي للأب الذي استأثر بالسلطة والثروة، ومارس القمع والتحرير لمنع كل الجماعة من الاستمتاع بحقوقهم الطبيعية في المشاركة في الثروة والسلطة، والذي صنع (طوطم الرئيس) طوال عقود طويلة، ليشعر شعبه بعقدة الذنب تجاه التعرض له أو إيذائه، ويصبح الشعب في المقابل (وبالذات الأجيال الشابة) معادلاً موضوعياً للابن الراغب في التحرر من السلطة الأبوية، والحصول على حقوقه الطبيعية في الثروة والسلطة، ومن ثم تكون الثورة هي قتل الأب، وتساوي نفسياً في العقل الجمعي للثوار (الخطيئة الأصلية) التي تستلزم طقوساً موازية لها للتكفير عنها.

وظف فرويد دلالات الأساطير الرمزية لتفسير نشأة النظام الأخلاقي، فاستلهم آليات التشكّل التاريخي للأخلاق والحضارة الإنسانية من أسطورة (قتل الأب وأكله) بطبيعتها الأنثروبولوجية، وأسطورة أوديب بطبيعتها السيكلوجية، ويستخدم أسطورة (الوليمة الطوطمية/ مقتل الأب والتهايمه) لتفسير منشأ الأخلاق الإنسانية بمضامينها الاجتماعية والتاريخية، ويُفسر من خلال (أسطورة أوديب/مقتل الأب ونكاح المحارم) نشأة (الأنا الأعلى/ الضمير) والقيم الأخلاقية سيكلوجياً، ويستفيد من تجانس الدلالات

الرمزية للأسطورتين للخطيئة الأولى (قتل الأب) ولعنة (نكاح المحارم) في تفسير ولادة القيم، ونشأة الأخلاق، والضمير الأخلاقي، ويرى أن الأبناء قرروا في التراجيديات البدائية التنازل عن إشباع ميولهم الغريزية لصالح النظام الاجتماعي، لتشكيل مجتمع متحضر أساسه النظام والعدالة والقانون والقيم الأخلاقية؛ لأن الحضارة تقوم على مبادئ الإيثار وإنكار الذات وتنظيم الإشباع الغريزي تنظيماً أخلاقياً في أطر فلسفية، تُراعي مبادئ العدالة والحق والخير والجمال.

فهل تحقق ذلك في ثورة 25 يناير؟

على الأقل حتى تاريخ كتابة هذه السطور؟

لقد تحقق نموذج معادل لـ(قتل الأب) بإسقاط الرئيس بفعل الثورة، لكن تكونت عقدة (الخطيئة الأصلية) لدى قطاع مهم من الشعب، فطفت على السطح أفكار ندم، تنحو نحو التنازل عن إشباع الميول الطبيعية للعدل والحرية لصالح النظام السياسي الذي لم يتبدل منه سوى رأسه فقط.

إن شعباً بحجم الشعب المصري من الطبيعي أن يضم في أعطافه العديد من التوجهات التي لا بد وأن يتماهى بعضها مع نظام الرئيس السابق من مطلق وحدة المصالح والأهداف، فإذا ميز النظام السابق الفساد، فلا بد من مستفيدين من هذا الفساد، ومصالحتهم الدفاع عن هذا الفساد ورموزه ونظامه الذي مازال حياً عفاً، يساهم في تنمية الشعور بالإثم، مُستخدماً تراثاً من الأعراف والتقاليد الاجتماعية والعقائدية، تبجل الجذور لدرجة تقترب من التقديس.

(هل يمكن رصد عدد أضرحة الأولياء في مصر؟) فماذا نفع؟

لقد عرفت كافة الثورات في تاريخ البشرية (الثورة المضادة) وتعمل (الآن) الثورة المضادة في مصر على قدم وساق ومنذ اللحظة الأولى لإجهاض نتائج تمرد الشعب على القمع والاستبداد، وليست سخرية بعض عناصر النظام ورموزه من المتظاهرين، وهجوم قطاع لا يستهان به من الإعلاميين، والفنانين، والرياضيين على الثورة إلا تعبير

عن مصالح مرتبطة بالنظام، ومناقضة للثورة في أبسط تجلياتها وهي البحث عن العدل، والحرية، والعدالة الاجتماعية، ومحاربة الفساد لأنهم بكل بساطة مستفيدين من هذا النظام بكل تجلياته.

ويلعب النظام والعديد من الرموز الرجعية على هذا الميراث الأنثروبولوجي بتجلياته العُرفية المصرية، وميراث العادات والتقاليد في تبجيل وتكريم الكبير لتكوين الشعور بإثم الخطيئة الأصلية لدى الجموع، وتنمية الشعور بهذا الجرم عند الشعب عامة والثوار على وجه الخصوص.

لذلك يجب أن تتحرر قوى المجتمع المصري من عقدة الأب الفرويدي، فقد دفعت ثمن الثورة كاملاً من دم الشهداء الذين قتلهم نظام فاقد للأهلية بالمئات في دم بارد وبلا أي شعور إنساني.

ليسوا الثوار هم أصحاب الخطيئة الأصلية، فلم يكن النظام أباً للشعب كما أوحى، ولم يقتل الابن أباه، ولكن هناك شعب قرر أن يتحرر من ظلم حكامه، ونجح في التخلص من رأس الحكم؛ لكن مازال الجسد مثل (ميدوزا) الإغريقية يتحرك بالعديد من الرؤوس الأخرى.

لم يكن الرئيس يوماً الأب، ولا يصلح نموذجاً، وليس له على الشعب الذي أذله ثلاثين عاماً أي دين، بل يداينه الشعب بأكثر من الكثير على المستويات المادية والمعنوية، وإذا ثار عليه الشعب، فلم يثر على الأب؛ بل على الحاكم الظالم الفاسد، وليس الشعب أبناء قتلة، بل هو الأمة التي ظلمت، وقُمت، واستُلبت منها كرامتها وثورات الوطن، وحققها في العيش الكريم.

إن الشعب هو البطل المطالب بقطع كل رؤوس الوحش، حتى يصل إلى جائزته الكبرى... الحرية، والعدل، والمساواة... في مجتمع خال من الحكم الأبوي، ويجب عليه أن يعي جيداً أنه شعب تائر عظيم، وألا يشعر بالذنب تجاه جيل الآباء (وأنا واحد منهم) لأنه لم يرتكب خطيئة؛ بل بحث عن حريته.

يجب أن يُدرك الشعب المصري وثواره على وجه التحديد أن النضال قد بدأ لكن السير طويل، ومطلوب جهد وافر لاسترداد كافة الحقوق المعنوية والمادية التي استلبها أعداء الشعب وخصومه منه؛ حيث لا يجب أن يحصل كل من أساء للأمة المصرية على أي جائزة أو عفو، أو أن يتمكن من الإفلات بغنيمته، ليس من منطلق الثأر؛ بل بحثاً عن العدالة والحق، وصُنع نموذج للمحاسبة، يَجْعَل كل من يفكر في خيانة هذا الشعب، يُفكر عشرات المرات قبل أن يجرؤ على فعل الخيانة.

أيها المصريون... تخلصوا من الأب الفرويدي، ولا تشعروا بالذنب.

\*\*\*\*\*

أنهى استعدادات الصعود إلى الطائرة، وركب الحافلة مع غيره من المسافرين، وصعد للطائرة وأخذ مكانه بين الركاب، وأقلعت الطائرة، وسرعان ما اختطفه الوسن حتى أنه لم يشعر بالمضيعة تضيع غطاءً عليه يقيه البرد.

عادت سيرة حياته تتهادى في مخيلته بلا ترتيب ولا نظام، فعاش عذابات كان قد نسيها، وطارده خيالات طفولته، والتفت حوله أشباح العذابات التي ذاقها متجسدة في هيئة بشر عاني وجودهم في حياته.

أرقه سؤال عبثي يتقاذف بين تلك الأوهام والذكريات...

هل وجهته مطار أورلي أم مطار شارل ديغول؟

حاول أن يعثر على إجابة، أو يتذكر، وكلما اقترب من الإجابة، قفز أمامه

شيطان من شياطين تاريخه يضحك في جنون، ويقول له:

"وهل عثرت طوال حياتك على أية إجابات أيها الأحمق؟ ألم تكن حياتك كلها سلسلة من الأسئلة مستحيلة الإجابات وبلا نهايات... كنت دوماً أغيب من فواست الذي قايض الشيطان على شيء؛ بينما قامرت بعمرك مقابل اللا شيء... أظننت أنك أدكى من الحياة أيها النزق الأبله؟ الحياة هي أمك التي جاءت بك إليها وهي التي ستضم عظامك التي لن يوقرها أحد."

حاول جاهداً، وبذل غاية جهده أن يتخلص من الخيالات والأحلام والكوابيس؛ لكنه فشل كما خُذع طوال حياته في ظن الهرب من الوجد والأسى وعدم التحقق، فاستسلم للخيالات القاتلة بلا إرادة، وأخرج ورقة وقلماً وكتب:

\*\*\*\*\*

السالكين

بقلم: أحمد

طمعاً في رؤية وجه معبوده، أمضى عمره سالكاً بين السالكين... يتوجه أينما  
ولوا وجوههم شطره... تارة للمشرق، وشطر المغرب فينة أخرى... حين اقتربت الرحلة  
من نهايتها، واقترب مما ظنه مشكاة أو أدنى... وظن أن سي شاهد ويرى... تكشف له  
معبوده، فكاد أن يخر صعقاً، وهرب.

\*\*\*\*\*

وصلت الطائرة المطار، وهبط جميع الركاب إلا هو... توجهت مضيفة نحوه  
توقظه، وتخطره بوصول الطائرة محطتها الأخيرة... ولم يستيقظ.



## عن الكاتب

### التحصيل العلمي:

1. دبلوم التشخيص والعلاج بالأشعة والنظائر المشعة.
2. المعهد العالي للتذوق والنقد الفني – أكاديمية الفنون المصرية 1974 م الدفعة الثانية.

### ملخص الإنتاج الفني والفكري والثقافي:

1. عضو سابق بفرقة الإسكندرية المسرحية.
2. عضو سابق بفرقة مسرح الجيب السكندري.
3. عضو مؤسس بفرقة الإسكندرية القومية لمسرح الطفل.
4. مخرج بجهاز التربية المسرحية بوزارة التربية والتعليم المصرية.
5. قصص قصيرة وقصيرة جداً ومسرحيات للأطفال ولل كبار.
6. مقالات في نقد التشكيل، والنقد الأدبي والفني منشورة في الدوريات المصرية والعربية.
7. عضو مختبر السرد بمكتبة الإسكندرية.
8. مؤلف كتاب (تقنين أنشطة المسرح المدرسي) منشور.
9. مؤلف كتاب (الدراما والفرجة المسرحية) منشور.
10. مؤلف كتاب (الخطاب بين النص والإلقاء) منشور.
11. مؤلف كتاب (فنون العصر الحجري) منشور.
12. مؤلف كتاب (النصب بوسائل الإعلام) منشور.
13. مؤلف كتاب (الإعلام الأمني للأطفال) منشور.
14. مؤلف مسرحيات الأطفال المصورة (دفاع الطبيعة ولك الوحوش) نشر الهيئة العامة للكتاب.
15. مؤلف مسرحية الأطفال (مصر للمصريين) منشورات اتحاد الكتاب.
16. مؤلف الفرجة المسرحية (حلم الخير) عن قناة السويس (غير منشور).
17. مؤلف الفرجة المسرحية (غاندي ملاك التسامح) (غير منشور).
18. مؤلف المسرحية الكوميديا (عفاريت نص الليل) (غير منشور).
19. مؤلف مونودراما مسرحية (الاهطل) فرجة مسرحية (غير منشور).
20. مؤلف مونودراما مسرحية (أم العريف – بنت الستينات) فرجة مسرحية (غير منشور).
21. الجائزة الأولى لوزارة الثقافة المصرية عام 1983 م عن مسرحية الأطفال (حكاية الوطواط) أنتجها مسرح الطفل السكندري بقصر ثقافة الحرية بالإسكندرية من إخراج ناجي أحمد ناجي.

22. حائز على الجائزة الأولى لوزارة الثقافة المصرية عام 1986 م عن مسرحية الأطفال (حكاية الشاطر إسلام وكنز الكلام) أنتجها مسرح الطفل النموذجي بقصر ثقافة الجيزة إخراج سامي عبد النبي.
23. الجائزة الأولى في ملتقى أبها الثقافي – السعودية 1995 م عن مسرحية (نبض الرمال).
24. جائزة أفضل نص في مهرجان أصيلة الدولي لمسرح الأطفال بالمغرب عام 2009 م عن مسرحية (الوطواط الخراط).
25. حائز على جائزة أفضل نص وأفضل مؤلف في مهرجان المونودراما بالرياض – السعودية 2010 م عن مسرحية (الخبيل).
26. حائز على المركز الأول في المسابقة الأدبية لإدارة الشؤون المعنوية بوزارة الدفاع في المسابقة الأدبية الثالثة للقوات المسلحة أكتوبر 2015 م عن القصة القصيرة (الفينيق).
27. المركز الأول في مسابقة المجلس الأعلى للثقافة (الوطن في عيون المبدعين) يناير 2016 م عن مسرحية حلم الخير.
28. مُحاضر باجتماع مجلس وزراء الداخلية العرب بتونس عام 2011 م بدراسة عن (الاحتياط باستخدام وسائل الإعلام، وسبل مواجهته).
29. مُحاضر بجامعة نايف للعلوم الأمنية بالرياض - المملكة العربية السعودية - عام 2011 م بدراسة عن (التوعية الأمنية للأطفال من خلال وسائل الإعلام الأمني).
30. عضو عامل باتحاد كتاب مصر.
31. مدير التحرير المؤسس لمجلة رؤى الثقافية (السعودية).
32. مدير تحرير مجلة فرع الجمعية السعودية للثقافة والفنون بحائل.
33. عضو جمعية المسرحيين السعوديين.
34. عضو بمختبر السرد بمكتبة الإسكندرية.
35. العمل بالسعودية كمنسق صحي، ومدير تحرير النشرة الدورية للثقافة الصحية (طهوراً) ومسئول الوسائل التعليمية بإدارة التوعية الصحية، وإعداد وتصميم المطبوعات والملصقات للتوعية الصحية، والإشراف على الطباعة والتنفيذ، وعضو المكتب الفني بإدارة الرعاية الصحية الأولية، ومسئول التدريب بإدارة الرعاية الصحية الأولية، ومساعد باحث عدد من البرامج والدراسات والبحوث الميدانية؛ إضافة لحضور العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية.

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

دار نشر - دراسات - استشارات - دورات تدريبية

الإسكندرية، مصر

44 شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية

موبايل: 0020103003691

هاتف: 034830903

بريد إلكتروني: [levant.egsy@gmail.com](mailto:levant.egsy@gmail.com)

موقع إلكتروني: [www.levantcenter.net](http://www.levantcenter.net)

مركز ليفانت أحد فاعليات شركة ليفانت لتنمية الموارد البشرية، ش. د. م. م. وفق قانون

159 لسنة 1981م ولائحته، رقم: س ض: 545/584/507،

س ت: 9882.

يقوم المركز دورات ثقافية وتعليمية متنوعة وورشات عمل وندوات ومحاضرات...، ويستثمر في تطوير الموارد البشرية وتنميتها، ومن ثم فهو يهتم بإعداد باحثين في مجال الدراسات الثقافية تطبيقاً على علم الكوديكولوجيا وتحقيق النصوص التراثية وعلوم العربية وآدابها وتجديد الفكر الديني، كما يهتم بأصحاب المواهب في الكتابة السردية والمسرح والسينما والسيناريو، وينشر أعمالهم ورقياً وإلكترونياً.

وتدير إدارة المركز موقعاً إلكترونياً شاملاً لنشاطاتها كلها، علاوة على إتاحتها تحميل الكتب والمقالات والفيديوهات المختلفة.

وينشر المركز المقالات والكتب ورقياً وإلكترونياً وفق عقد مع أية مؤسسة أو مؤلف إفرادياً.

رقم الإيداع: 2019 / 25922

الترقيم الدولي: 1 - 82 - 6651 - 977 - 97